

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر ذي الحجة

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الثاني عشر

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ



ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر ذي الحجة الجزء الثاني عشر من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.ـ الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٣ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.ـ (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ٢٤٠١٥ / ١٤٤٥
ردمك :٥-١٤٣٣-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عزَّ وجلَّ بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء الثاني عشر من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيَّام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجريَّة بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر ذي الحجَّة ، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر ذي الحجَّة ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر ذي الحجَّة

غرَّة ذي الحجة

فضائل عَشْر ذي الحجَّة

إذا أقسم الله بشيءٍ دلَّ هذا على عِظَمِ مكانته وفضْله، إذ العظيم لا يُقسِم إلَّا بالعظيم، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾(١). والليالي العَشْر هي عَشْر ذي الحجَّة، وهذا ما عليه جمهور المفسِّرين والخَلَف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح(٢). وممَّا يدلُّ على شرفها وفضْلها أنَّ الله تعالى قال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾(٣).

وقد جاء عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في هذه الآية أنَّها أيَّام العَشْر، وأنَّ الأيَّام المعدودات أنَّها أيَّام التشريق(٤).

يقول أبو عثمان النهدي: كانوا- أي السلف- يُعظِّمون ثلاث عشرات: العَشر الأخير من رمضان، والعَشر الأُوَل من ذي الحجَّة، والعَشر الأُوَل من مُحرَّم(٥).

وشهد النبي ﷺ بأنَّ عَشْر ذي الحجَّة أعظمُ أيَّام الدنيا، وأنَّ العمل الصالح فيها أفضلُ منه في غيرها، كما في حديث ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-، حيث قال ﷺ:" مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يا رسول الله؛ ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ" رواه البخاري(٦).

---

(١) الفجر: ١-٢.

(٢) يُنظَر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٠- ٣٩١). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقِّق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) الحج: ٢٨.

(٤) رواه البخاري عنه في صحيحه بصيغة الجزم، يُنظَر: صحيح البخاري (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيَّامه= صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقِّق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مُصوَّرة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٥) رواه قوام السُّنَّة في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٥) برقم (١٨٨٠). الترغيب والترهيب، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السُّنَّة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقِّق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

(٦) رواه قريبًا منه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٦٩) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق. واللفظ المذكور رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٣) برقم (١٩٦٨). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.



وفي حديث ابن عمر- رضي الله عنهما-:" مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ" رواه أحمد(١).

وفيها يوم عرفة، الذي قال فيه ﷺ كما في حديث عائشة- رضي الله عنها-:" ما من يومٍ أكثر من أن يُعتِقَ الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنَّه ليدنو ثم يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟" رواه مسلم(٢)، وهو يوم مغفرة الذنوب، وصيامه يُكفِّرُ سنتين. فيُسَنُّ الصيام في هذه الأيَّام، لا سيَّما يوم عرفة الذي قال فيه النبي ﷺ:" أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده"(٣)، بخلاف يوم عاشوراء الذي يُكفِّر سنة ماضية.

قال ابنُ حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: وظاهرُه أنَّ صيامَ يومِ عَرَفَةَ أفضلُ مِنْ صيامِ يومِ عاشوراءَ، وقد قِيلَ في الحكمة في ذلك: إنَّ يوم عاشوراء منسوبٌ إلى موسى عليه السلام، ويومَ عَرَفَةَ منسوبٌ إلى النبيِّ ﷺ؛ فلذلك كان أفضلَ(٤).

وقيل: لأنَّ يومَ عرفة يومٌ مُحمَّديٌّ، اختُصَّتْ به أُمَّة محمد ﷺ، وعاشوراء يومٌ مُوسَويٌّ، كان لأُمَّة موسى عليه السلام، ولما كان نبيُّنا أفضل من موسى، ولما كانت أُمَّته أفضل الأمم؛ كان ما اختُصَّتْ به أفضل(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٩٦) برقم (٦١٥٤). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٤). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٢) برقم (١٣٤٨) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقِّق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٨) برقم (١١٦٢) كتاب الصيام. باب استحباب صيام ثلاثة أيَّام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٤٩).

(٥) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب (٣/ ٣١٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي (٣/ ٢٣٨)، ط: دار الفكر، بيروت- لبنان، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، الشربيني (٢/ ١٩٧)، ط: المكتبة التوفيقية، القاهرة، حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب (٢/ ٣٢٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.



وفيها أيضًا يوم النحر، الذي هو أعظم الأيَّام عند الله، قال ﷺ:" أعظمُ الأيَّام عند الله تعالى يوم النحر، ثم يوم القرِّ" رواه أحمد وأبو داود والنسائي(١).

وإنَّما حظيت عَشْر ذي الحجَّة بهذه المكانة والمنزلة لاجتماع أُمَّهات العبادة فيها، وهي: الصلاة والصيام، والصدقة والحج، ولا يتأتَّى ذلك في غيرها.

وقد تكلَّم أهل العلم في المفاضلة بينها وبين العَشر الأواخر من رمضان، ومِن أحسنِ ما قيل في ذلك؛ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- عندما سُئل عن عَشْر ذي الحجَّة، والعَشر الأواخر من رمضان، أيُّهما أفضل؟ فأجاب: أيَّام عَشْر ذي الحجَّة أفضْل من أيَّام العَشر من رمضان، والليالي العَشْر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عَشْر ذي الحجَّة"؛ جمعًا بين النصوص الدالَّة على فضلِ كلٍّ منها، لأنَّ ليالي العَشْر من رمضان إنَّما فُضِّلتْ باعتبار ليلة القدر وهي من الليالي، وعَشْر ذي الحجَّة إنَّما فُضِّلتْ باعتبار الأيَّام، ففيها يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية(٢).

ومن الأعمال التي تتأكَّد في هذه الأيَّام؛ الصيام، وهو بالإضافة إلى أنَّه داخلٌ في عموم العمل الصالح؛ إلَّا أنَّه قد ورد فيه أدلَّة على جهة الخصوص، فعن حفصة- رضي الله عنها- قالت:" أربعٌ لم يكن يدعهنَّ النبي ﷺ: صيام عاشوراء، والعَشْر، وثلاثة أيَّام من كلِّ شهرٍ، والركعتين قبل الغداة" رواه أحمد والنسائي(٣).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٤٢٧) برقم (١٩٠٧٥). وأبو داود في سننه (٢/ ١٤٩) برقم (١٧٦٥) كتاب المناسك. باب في الهدي قبل أن يعطب. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٢) برقم (٤٠٨٣) كتاب المناسك. فضْل يوم النحر. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٨١٠). السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدَّم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقِّق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

(٢) يُنظَر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٧). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقِّق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٤/ ٥٩) برقم (٢٦٤٥٩). والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٩٨) برقم (٢٧٣٧) كتاب الصيام. كيف يصوم ثلاثة أيَّام من كلِّ شهرٍ، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٨١٠). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقِّق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.



والمقصود صيام التسع، لأنَّه قد نُهِي عن صيام يوم العيد، قال الإمام النووي عن عشْر ذي الحجَّة: بَلْ هِيَ مُستحبَّة استحبابًا شديدًا لا سيَّما التَّاسِعُ مِنْهَا، وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَقَدْ سَبَقَتِ الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِهِ(١).

وممَّا يدلُّ بخصوصه ما رُوي عن بعض أزواج النبي ﷺ أنَّها قالت:"كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجَّة- وهي هذه الأيَّام- ويوم عاشوراء، وثلاثة أيَّام من كل شهر، والإثنين والخميس" أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد(٢).

وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- يصوم هذه الأيَّام(٣)، وجاء عن بعض التابعين أيضًا أنَّهم كانوا يصومونها، فعن عبد الله بن عوف قال: كان محمد بن سيرين يصوم العَشْر جميعًا(٤).

وعن ليث قال: كان مجاهد يصوم العَشْر، قال: وكان عطاء يتكلَّفُها(٥).

وأفضل طاعة تُؤدَّى إلى الله في هذه العَشْر: الحجُّ لمن استطاع، فالحجُّ من أعظم أعمال البِرّ كما قال ﷺ وقد سُئل:" أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ بالله ورسولِه، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرورٌ" متفق عليه(٦).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٢٤) برقم (١٩٠٧٥). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٢٥) برقم (٢٤٣٧) كتاب الصوم. باب في صوم العَشْر. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٨١) برقم (٢٦٩٣) كتاب الصيام. صوم النبي ﷺ بأبي هو وأُمِّي، وذِكْر اختلاف الناقلين في ذلك. والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص ٦٥٩). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقِّق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا– بيروت. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجدَّدة والمزيدة والمنقَّحة.

(٣) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٢٦٢). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٤) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٢٦١). فقد ذكر ترغيب ابن سيرين رحمه الله وحثَّه على صيام هذه العَشر.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٢/ ٣٠٠) برقم (٩٢٢٢). الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، المحقِّق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد– الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٣) برقم (١٥١٩) كتاب الحج. باب فضْل الحج المبرور. ومسلم في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٨٣) كتاب الإيمان. باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.



ومن لم يستطع فأفضل طاعة في حقِّه أن يُضحِّي؛ فالأضحية سُنَّةٌ مُؤَكَّدةٌ في حقِّ الموسِر، بل إنَّ مِن العلماء مَن قال بوجوبها، وقد حافظ عليها النبي ﷺ.

ومن لم يستطع التقرُّب من الله في العَشْر الأواخر من رمضان؛ فإنَّه يُمكنه أن يبدأ من جديد في العَشْر الأوائل من ذي الحجَّة؛ من خلال المبادرة إلى التوبة النصوح وعدم التكاسل في العبادة، وفيما يتعلَّق بذنوب العبد تجاه الله فعليه بالتوبة والإقلاع عن الذنب، أمَّا إذا كانت ذنوبه تتعلَّق بحقوق العباد؛ فعليه بردِّ الحقوق إلى أهلها، فلا بدَّ من إنهاء الخصام والمشاحنات مع الآخرين استعدادًا لهذه الأيَّام؛ وخاصَّة مع الأقارب.

ويُسَنُّ إظهارُ التكبير المطلَق من أوَّل يومٍ من أيَّام ذي الحجَّة في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، يجهر به الرجال، وتُسِرُّ به النساء، إعلانًا بتعظيم الله تعالى، ويستمرُّ إلى عصر آخر يومٍ من أيَّام التشريق، وهو من السُّنن المهجورة التي ينبغي إحياؤها في هذه الأيَّام، وقد ثبت أنَّ ابن عمر وأبا هريرة- رضي الله عنهما- كانا يخرجان إلى السوق أيَّام العَشْر يُكبِّرانِ ويُكبِّرُ الناس بتكبيرهما[١]. وكان عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- يُكبِّر في قُبَّتِه بمنى فيسمعه أهل المسجد فيُكبِّرون، ويُكبِّرُ أهل الأسواق حتَّى ترتجَّ منى تكبيرًا[٢]. وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- يُكبِّر بمنى تلك الأيام، وخلْف الصلوات على فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيَّام جميعًا[٣].

والخلاصة: أنَّه ينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل والمستحَبَّات، ويغتنم شرف الزمان، فيزيد ممَّا كان يعمله في غير العَشْر، ويعمل ما لم يتيسَّرْ له عمله في غيرها، ويحرص على عمارة وقته بطاعة الله تعالى من صلاة، وقراءة القرآن، ودعاء وصدقة، وبرٍّ بالوالدين وصلة للأرحام، وأمْرٍ بالمعروف ونهي عن المنكَر، وإحسانٍ إلى الناس، وأداءٍ للحقوق، وغير ذلك من طرق الخير وأبوابه التي لا تنحصر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مُعلَّقًا مجزومًا به (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٣٧) برقم (٦٢٦٧). السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقِّق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه مُعلَّقًا مجزومًا به (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق.

٢ ذي الحجة

فضائل الحجِّ والحثِّ على المبادرة إلى أدائه

لقد أمر الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين بالمسارعة إلى الخيرات، وحثَّ النبيُّ ﷺ على المبادرة بفِعْل الطاعات، وحذَّر من التكاسل والتهاون في أداء الفرائض. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ:" بادروا بالأعمالِ فتنًا كقطعِ اللَّيلِ المظلمِ، يُصبحُ الرَّجُلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيعُ أحدُهم دينَهُ بِعَرَضٍ منَ الدُّنيا" رواه مسلم والترمذي. وفي روايةٍ للترمذي:" بادِروا بالأعمالِ سبعًا: هل تنتظرون إلَّا فقرًا مُنسيًا، أو غنىً مُطغيًا، أو مرضًا مُفسدًا، أو هرمًا مُفندًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجالَ؛ فشرُّ غائبٍ يُنتَظَرُ، أو الساعةُ، فالساعةُ أدهى وأمرُّ"[٤].

وعن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ" رواه أبو داود[٥].

وفي هذه الأحاديث وما أشبهها يحثُّ النَّبيُّ ﷺ على المبادرة إلى الطاعات قبل تعذُّرِها، والانشغال عنها بما يحدث من الفتن وشواغل الحياة.

---

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٥٢) برقم (٢٣٠٦) أبواب الزهد. باب ما جاء في المبادرة بالعمل. والحديث ضعَّفه الألباني كما في تحقيق رياض الصالحين للألباني (ص ٨٧). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٥) برقم (٤٨١٠) كتاب الأدب. باب في الرفق. والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤٠٣). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١-٤: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، جـ ٥-٦: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.



قال في "تحفة الأحوذي": وفيها معنى التوبيخ على تقصير المكلَّفين عن المسارعة إلى الطاعات، أي: متى تعبدون ربَّكم؟ فإنَّكم إن لم تعبدوه مع قلَّة الشواغل وقوَّة البدن وتيسير الحال؛ فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى؟! لعلَّ أحدكم ما ينتظر إلَّا غنى مُطغيًا.... [(١)].

والقصد: الحثُّ على المبادرة إلى فِعْل الطاعة قبل الانشغال عنها وخُلوِّ شيءٍ من ذلك.

والحجُّ من أهمِّ أعمال الطاعات التي تجب المبادرة إليها، فهو أحد أركان الإسلام التي بُنِي عليها، وذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّه فرضٌ على الفور.

ورُوي عن الحسن البصري قال: قال عمر- رضي الله عنه-: لقد هممتُ أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار، فينظروا كلَّ مَن كان له جدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين[(٢)].

وروى الإسماعيلي عن عبد الرحمن بن غنم أنَّه سمع عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- يقول: مَن أطاق الحجَّ فلم يحُجَّ؛ فسواء عليه يهوديًّا مات أو نصرانيًّا. قال ابن كثير- رحمه الله-: وهذا إسناد صحيح إلى عمر[(٣)].

والذي عليه الجمهور وتُعضِّدُه الأدلَّة هو أنَّ وجوب الحج على الفور، ومن أدلَّته قوله ﷺ:" مَن أرادَ أن يحُجَّ فلْيتعجَّلْ، فإنَّه قد تضلُّ الضالَّة، ويمرض المريض، وتكون الحاجة" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[(٤)].

---

(١) يُنظَر: تحفة الأحوذي (٦/ ٤٨٨). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت.

(٢) الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ٤٢٦). التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، الناشر: مؤسسة قرطبة- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م.

(٣) يُنظَر: مسند الفاروق (١/ ٤٤٨). مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وأقواله على أبواب العلم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقِّق: إمام بن علي بن إمام، الناشر: دار الفلاح، الفيوم– مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣٢) برقم (١٨٣٣). وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٦٢) برقم (٢٨٨٣) كتاب المناسك. باب الخروج إلى الحجِّ. والحديث حسَّنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٦٨). سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

ويقول الإمام ابن باز- رحمه الله تعالى-: فإنِّي أوصي إخواني المسلمين الذين لم يُؤدُّوا فريضة الحجِّ أن يبادروا بحجَّة الإسلام، فهذا هو الواجب على كلِّ مَن استطاع السبيل إلى ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(١)، ويقول النبي ﷺ:" بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت" رواه البخاري ومسلم(٢)، ويقول ﷺ:" إنَّ الله قد فرض عليكم الحجَّ فحُجُّوا" رواه مسلم(٣).

فالواجب على كل مسلم ومسلمة يستطيع مؤونة الحجِّ إذا كان مُكلَّفًا أن يبادر بذلك وألَّا يُؤخِّره؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا أوجب ذلك على الفور، ولا يجوز لأيِّ مسلمٍ مُكلَّفٍ مستطيعٍ الحجَّ أن يتأخَّر عن ذلك، بل يبادر ويسارع إلى هذا الخير العظيم، يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح:" مَن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدتْه أُمُّه" رواه البخاري ومسلم(٤).

ويقول- عليه الصلاة والسلام- في الحديث الآخر:" العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة" رواه البخاري ومسلم(٥).

فهذه نعمة عظيمة، وخير عظيم، ينبغي للمسلم أن يحرص عليه، ويُشرَع له مع ذلك أن يتحرَّى الأعمال الخيريَّة في طريقه وفي مكَّة، من صدقةٍ على الفقراء والمساكين، والإكثار من قراءة القرآن الكريم وذِكْر الله تعالى، والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، والإكثار من الصلاة في المسجد الحرام والطواف- إن تيسَّر ذلك- اغتنامًا للزمان والمكان؛ فإنَّ الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفريضةٌ فيه خيرٌ من مائة ألفٍ فيما سواه، والصدقات فيه مُضاعَفة، وهكذا مثلها التسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر، والدعوة إلى الله، وتعليم الحاجِّ ما قد يجهل، كلُّ هذا ممَّا يُشرَع للمسلم.

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (٨) كتاب الإيمان. باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ». ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (١٦) كتاب الإيمان. باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ».

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥) برقم (١٣٣٧) كتاب الحج. باب فرض الحج مرَّة في العمر.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٣) برقم (١٥٢١) كتاب الحج. باب فضْل الحج المبرور. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٥٠) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة. باب وجوب العمرة وفضْلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة.



ومن ذلك أن يجتهد في تعليم إخوانه الحُجَّاج- إن كان يوجد عنده علمٌ- بالحلْم والرِّفْق والأسلوب الحَسَن، مع اغتنام الفرصة في وجوده بمكَّة بعمل أنواع الخير كما تقدَّم من صلاةٍ وطوافٍ ودعوةٍ إلى الله، والأمْر بالمعروف والنهْي عن المنكَر بالأسلوب الحَسَن والرفق والكلام الطَّيِّب[١].

فإن قيل: لماذا لم يحُجَّ النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة؛ إن كان الحجُّ يجب على الفور؟

والجواب: أنَّه ﷺ لم يحجَّ على الفور لكثرة الوفود عليه في تلك السنة، ولهذا تُسمَّى السنة التاسعة عام الوفود، ولا شكَّ أنَّ استقبال المسلمين الذين جاءوا إلى الرسول ﷺ ليتفقَّهوا في دينهم أمرٌ مُهِمٌّ، بل قد نقول إنَّه واجبٌ عليه ﷺ ليُبلِّغ الناس.

كما أنَّه في السنة التاسعة مِن المتوقَّع أن يحجَّ المشركون، فأراد النبي ﷺ أن يُؤخِّر مِن أجلِ أن يتمحَّض حجُّه للمسلمين فقط، وهذا هو الذي وقع، فإنَّه أذَّن في التاسعة ألَّا يحجَّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريان، فقد كان الناس يطوفون عراةً بالبيت، إلَّا مَن كان مِن غير قريش، فلا يمكن أن يطوفوا بثيابهم بل يطوفون عراة، وكانت المرأة تطوف عارية.

والخلاصة: أنَّ الحجَّ واجبٌ في العمر مرَّة، وهو جهادٌ لا شوكة فيه، لما فيه من مفارقة الأوطان والأهل، وبذْل المال، والتعب والجهد. والواجب التعجُّل له قدر الإمكان والطاقة. قال رسول الله ﷺ:" تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ" رواه أحمد[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٣٤٧). مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٥٨) برقم (٢٨٦٧). والحديث حسَّنه الألباني، كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٦٨).

٣ ذي الحجة

التكبير المُطلَق في العَشْر من ذي الحجَّة

(وقته وفضْله وصيغه)

يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: أمَّا التكبير في الأضحى فمشروعٌ مِن أوَّل الشهر إلى نهاية اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجَّة؛ لقول الله سبحانه: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[1]، وهي أيَّام العَشْر، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[2]، وهي أيَّام التشريق؛ ولقول النبي ﷺ:" أيَّامُ التشريقِ أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ" رواه مسلم[3].

وذكر البخاري في صحيحه تعليقًا عن ابن عمر وأبي هريرة- رضي الله عنهما-: أنَّهما كانا يخرجان إلى السوق أيَّام العَشْر فيُكبِّران ويُكبِّرُ الناس بتكبيرهما[4]، وكان عمر بن الخطَّاب وابنه عبد الله- رضي الله عنهما- يُكبِّران في أيام منى في المسجد وفي الخيمة ويرفعان أصواتهما بذلك حتَّى ترتجَّ مِنى تكبيرًا[5]، ورُوِيَ عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- التكبير في أدبار الصلوات الخمس من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم الثالث عشر من ذي الحجَّة، وهذا في حقِّ غير الحاجِّ، أمَّا الحاجُّ فيشتغل في حال إحرامه بالتلبية حتَّى يرمي جمرة العقبة يوم النحر، وبعد ذلك يشتغل بالتكبير، ويبدأ التكبير عند أوَّل حصاة من رمْي الجمرة المذكورة، وإن كبَّر مع التلبية فلا بأس؛ لقول أنس- رضي الله عنه-:" كان يُلبِّي المُلبِّي يوم عرفة فلا يُنكَر عليه، ويُكبِّرُ المكبِّرُ فلا يُنكَر عليه" رواه البخاري[6]. ولكن الأفضل في حقِّ المحرم هو التلبية، وفي حقِّ الحلال هو التكبير في الأيَّام المذكورة.

---

(١) الحج: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٠٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤١) كتاب الصيام. باب تحريم صوم أيَّام التشريق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه مُعلَّقًا مجزومًا به (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٣٧) برقم (٦٢٦٧).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٧٠) أبواب العيدين. باب التكبير أيَّام منى، وإذا غدا إلى عرفة.



وبهذا تعلم أنَّ التكبير المطلَق والمقيَّد يجتمعان في أصحِّ أقوال العلماء في خمسة أيَّام؛ وهي: يوم عرفة ويوم النحر وأيَّام التشريق الثلاثة.

وأمَّا اليوم الثامن وما قبله إلى أوَّل الشهر فالتكبير فيه مُطلَق لا مُقيَّد؛ لما تقدَّم من الآية والآثار، وفي المسند عن ابن عمر– رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنَّه قال:" مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ" رواه أحمد(١)(٢).

التكبير المطلَق وهو الذي لا يتقيَّد بشيء، فيُسنُّ دائمًا، في الصباح والمساء، قبل الصلاة وبعد الصلاة، في جميع الأوقات، ولا يُخصُّ بمكان مُعيَّن، فيُستحَبُّ في المنازل والمساجد والطرقات، أمَّا التكبير المقيَّد فهو الذي يتقيَّد بأدبار الصلوات.

ويُسنُّ التكبير المطلَق في عَشْر ذي الحجَّة وسائر أيَّام التشريق، وتبتدئ من دخول شهر ذي الحجَّة، أي من غروب شمس آخر يومٍ من شهر ذي القعدة إلى آخر يومٍ من أيَّام التشريق، وذلك بغروب شمس اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجَّة.

وأمَّا صيغ التكبير فلم يثبتْ عن النبي ﷺ صيغة مُعيَّنة فيها، وإنَّما ثبت عن صحابته– رضوان الله عليهم– عدَّة صيغٍ؛ منها:

الأُولى: قول:" اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا" وهذه الصيغة ثابتة عن سلمان الفارسي– رضي الله عنه–، أخرجها البيهقي في السنن الكبرى، وصحَّح الحافظ ابن حجر سندها(٣).

الثانية: قول:" اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وللهِ الحمدُ" وهذه الصيغة ثابتة عن ابن مسعود– رضي الله عنه–، أخرجها ابن أبي شيبة في مُصنَّفه(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٩٦) برقم (٦١٥٤). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٨).

(٣) ذكره الذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبير (٣/ ١٢٤٣). وصحَّح سنده الحافظ كما في فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٦٢). المهذَّب في اختصار السنن الكبير، اختصرهُ: أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عُثمان الذَّهَبيُّ الشَّافعيُّ (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلميِ، بإشراف أبي تَميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١ م. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محبُّ الدين الخطيب، عليه تعليقات العلَّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. الناشر: دار المعرفة– بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) مُصنَّف ابن أبي شيبة (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٣).

الثالثة: قول:" اللَّهُ أَكْبَـرُ كَبـيرًا، اللَّهُ أَكْبَـرُ كَبـيرًا، اللَّهُ أَكْبَـرُ وَأَجَلُّ، اللَّهُ أَكْبَـرُ، وَللَّهِ الحمدُ"، وهـذه الصيغة ثابتة عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-، أخرجها ابن أبي شيبة في مُصنَّفه[١].

وقال الشافعي في الأُمّ: أُحِبُّ أن تكون زيادته" الله أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسبحان الله بُكرةً وأصيلًا، لا إله إلَّا الله، ولا نعبد إلَّا إيَّاه، مُخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلَّا الله وحدَه، صدق وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه، لا إله إلَّا الله، والله أكبر"[٢] واحتجُّوا له بأنَّ النبي ﷺ قاله على الصفا، وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من رواية جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أخصر من هذا اللفظ.

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال:" بينما نحن نُصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجلٌ من القوم: اللهُ أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلًا، فقال رسول الله ﷺ: مَن القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجلٌ من القوم: أنا يا رسول الله، قال: عجبتُ لها، فُتِحتْ لها أبوابُ السماء، قال ابن عمر: فما تركتُهُنَّ منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك" رواه مسلم[٣].

فلْنحرِصْ على إحياء هذه السُنَّة المباركة، بتطبيقها وحثِّ الناس عليها، حتَّى ننال أجر الذِّكْر والتكبير، وأجْر إحياء سُنَّة من سُنن المصطفى ﷺ. والأمرُ واسعٌ في هذا لعدم وجود نصٍّ عن النبي ﷺ يُحدِّد صيغة مُعيَّنة.

عن مَيمون بن مِهْران قال: أدركتُ الناسَ وإنَّهم ليُكبِّرون في العَشْر، حتَّى كنتُ أُشبِّهه بالأمواجِ مِن كثرتِها، ويقول: إنَّ الناسَ قد نقَصُوا في ترْكِهم التكبيرَ[٤].

---

(١) مُصنَّف ابن أبي شيبة (١/ ٤٨٩) برقم (٥٦٤٦). وصحَّح إسناده الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ١٢٦).

(٢) يُنظَر: الأم للشافعي (١/ ٢٧٦). الأم، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، الناشر: دار المعرفة- بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب ما يُقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة.

(٤) يُنظَر: فتح الباري لابن رجب (٩/ ٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ١- محمود بن شعبان بن عبد المقصود. ٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ٣- إبراهيم بن إسماعيل القاضي. ٤- السيد عزت المرسي. ٥- محمد بن عوض المنقوش. ٦- صلاح بن سالم المصراتي. ٧- علاء بن مصطفى بن همام. ٨- صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.



قال ابن قدامة في المغني: ويُظهِرون التكبير في ليالي العيدَينِ، وهو في الفطر آكَدُ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(١)]، وجملته أنَّه يُستحَبُّ للناس إظهار التكبير في ليلتَي العيد في مساجدهم ومنازلهم وطرقهم؛ مُسافرين كانوا أو مُقيمين لظاهر الآية المذكورة[(٢)].

ويقول أيضًا العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: أمَّا التكبيرُ الجماعيُّ فهو غيرُ مشروعٍ بدعة، كونهم يتكلَّمون بصوتٍ واحدٍ، هذا بدعة غير مشروع[(٣)].

وختامًا؛ قال الإمام مالك- رحمه الله-: ويُكبِّرُ في أيَّام التشريق الرِّجالُ والنِّساءُ، والعبيدُ والصِّبيانُ، وأهلُ البادية والمسافرون، وكلُّ مسلمٍ صلَّى في جماعةٍ أو وحدَه، وتُسمِعُ المرأةُ نفسَها التكبيرَ، كانت في المسجد أو في بيتها[(٤)].

اللَّهُ أَكْبَرُ مِلْءُ سَمْعِي وَفَمِي ... اللَّهُ أَكْبَرُ رَجْعُهَا يُذْكِي دَمِي
اللَّهُ أَكْبَرُ وَإِلَيْهِ أَنْتَمِي ... لَا عِزَّ يَوْمًا لِلْعَدُوِّ الْمُجْرِمِ
اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِّرِي يَا أُمَّتِي ... عُنْوَانُ صَوْتِي فِي الدُّنَا وَعَقِيدَتِي
اللَّهُ أَكْبَرُ فِي الرَّخَا وَالشِّدَّةِ ... اللَّهُ أَكْبَرُ مَجْدُ طَهَ سُنَّتِي[(٥)]

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ٢٥٥). المغني، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط: عالم الكتب، الرياض- السعودية، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٣/ ٣٥٥). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدَّم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٤) يُنظَر: المدونة (١/ ٢٤٨)؛ التاج والإكليل لمختصر خليل (٢/ ٥٨٢). المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

(٥) الأبيات للدكتور محمد بن سعد الدبل.

٤ ذي الحجة

الترغيب في الأضحية وبيان أحكامها

الأضحية هي: ما يُذبَح من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم) تقرُّبًا إلى الله تعالى، من بعد صلاة عيد النحر إلى آخر أيَّام التشريق.

والأضحية من شعائر الإسلام، إذا تركها أهل بلد قوتلوا عليها.

هذا وقد اختلف العلماء في حكمها: -

فقيل: إنَّها واجبة، قال به شيخ الإسلام ابن تيمية(١)، واستدلَّ أصحاب هذا القول بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾(٢)، وهذا فِعْلُ أمرٍ، والأمر يقتضي الوجوب.

٢- قال رسول الله ﷺ:" مَن كان ذَبَحَ أضحيته قبل أن يُصلِّي؛ فلْيذبحْ مكانها أخرى، ومَن لم يكن ذَبَحَ؛ فلْيذبحْ باسمِ الله" رواه مسلم(٣).

٣- قوله ﷺ:" مَن وجد سعةً فلم يُضحِ؛ فلا يقربنَّ مُصلَّانا" رواه أحمد وابن ماجه(٤).

وقيل: إنَّها سُنَّة مُؤكَّدة، وهو رأي الجمهور، واستدلَّ أصحاب هذا القول بما يلي:

١- حديث جابر- رضي الله عنه- قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى، فلمَّا انصرف أتى بكبشين فذبحهما فقال: بسمِ الله والله أكبرُ، اللهمَّ هذا عنِّي وعمَّن لم يُضحِّ من أُمَّتي. رواه أبو داود(٥). فأسقط بذلك الوجوب عنهم.

---

(١) يُنظَر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٦٢).

(٢) الكوثر: ٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٣) برقم (٩٨٥) أبواب العيدين. باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سُئل الإمام عن شيء وهو يخطب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥١) برقم (١٩٦٠) كتاب الأضاحي. باب وقتها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٢٤) برقم (٨٢٧٣). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٤٤) برقم (٣١٢٣) كتاب الأضاحي. باب الأضاحي؛ واجبة هي أم لا؟ والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١١٠٦). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٣٣) برقم (١٤٨٣٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٩٩) برقم (٢٨١٠) كتاب الضحايا. باب في الشاة يُضحَّى بها عن جماعة. والترمذي في جامعه (٤/ ١٠٠) برقم (١٥٢١) أبواب الأضاحي. باب بدون ترجمة. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٤٩).



٢- ما رواه الجماعة إلَّا البخاري من حديث أم سلمة:" مَن أراد منكم أن يُضحِّي فلا يأخذْ من شعره وأظافره"(١). فقد فوَّض ﷺ الأضحية إلى إرادة المكلَّف، ولو كانت الأضحيةَ واجبةً لم يَكِلْ ذلك إلى الإرادة.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- بعدما انتهى من سرد القائلين بالوجوب، والقائلين بأنَّها سُنَّة مُؤَكَّدة: والأدلَّة تكاد تكون مُكافِئة، وسلوك سبيل الاحتياط ألَّا يدعها مع القدرة عليها؛ لما فيها من تعظيم الله وذِكْره وبراءة الذِّمَّة بيقين(٢).

وقد رغَّب رسول الله ﷺ في الأضحية؛ فروت عنه أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّه قال:" ما عمِلَ آدمِيٌّ مِن عمَلٍ يومَ النَّحرِ أحبَّ إلى اللهِ مِن إهراقِ الدَّمِ، وَإنَّها لتَأْتي يومَ القيامةِ بقُرونِها وأشعارِها وأظْلافِها، وإنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بمكانٍ قبلَ أنْ يقَعَ مِنَ الأرضِ، فَطِيبوا بها نفسًا" رواه الترمذي(٣).

شروط الأضحية:-

١- أن تكون من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، ضأنها ومعزها؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾(٤)، ولقوله ﷺ:" لا تذبحوا إلَّا مُسنَّة، إلَّا أن تعسُر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن" رواه مسلم(٥)،

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٦٥) برقم (١٩٧٧) كتاب الأضاحي. باب نَهْي مَن دخل عليه عَشْر ذي الحجَّة وهو مُريدُ التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئًا.

(٢) أحكام الأضحية والذكاة (٢/ ٢١٩). أحكام الأضحية والذكاة (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٨٣) برقم (١٤٩٣) أبواب الأضاحي. باب ما جاء في فضْل الأضحية. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٤٥) برقم (٣١٢٦) كتاب الأضاحي. باب ثواب الأضحية. والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٢/ ١٤). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٤) الحج: ٣٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥٥) برقم (١٩٦٣) كتاب الأضاحي. باب سِنِّ الأضحية.

والمِسنَّة هي: الثنية من الإبل والبقر والغنم، ولم يُنقَل عنه ﷺ أنَّه ضحَّى بغير هذه الأجناس، ولا أمر أصحابه بأن يُضحُّوا بغيرها، فوجب اتباعه فيها.

والأفضل في الأضحية ما توافرت فيها صفات التمام والكمال كالسمن، وكثرة اللحم، وجمال المنظر، وغلاء الثمن؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(١)، قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: تعظيمها: استسمانها، واستعظامها، واستحسانها(٢).

٢- بلوغها السِّنَّ المطلوبة: وهي ستة أشهر في الضأن، وفي المعز سنة، وفي البقر سنتان، وفي الإبل خمس سنين.

٣- سلامتها من العيوب: لقوله ﷺ:" أربعٌ لا يُجزين في الأضاحي: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها، والعجفاء التي لا تنقي" رواه أحمد وأبو داود وغيرهما(٣).

وهناك عيوب أخفُّ من هذه ولكنها لا تمنع الإجزاء، ولكن يُكرَه ذبحُها كالعضباء، أي مقطوعة القرن والأذن والذَّنَب... إلخ، والأضحية قُربة إلى الله، والله طيِّبٌ لا يقبل إلَّا طيِّبًا.

٤- حُرْمةُ بيعها: فإذا تعيَّنت الأضحية لم يَجُزْ بيعُها ولا هبتُها إلَّا أن يُبدلَها بخيرٍ منها، وإن ولدتْ ضحَّى بولدها معها، كما يجوز ركوبُها عند الحاجة، والدليل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ رأى رجلًا يسوق بدنة، فقال: اركبها، قال: إنَّها بدنة، فقال: اركبها في الثانية أو في الثالثة(٤).

---

(١) الحج: ٣٢.

(٢) يُنظَر: تفسير السمعاني (٣/ ٤٣٧). تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقِّق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٦٨) برقم (١٨٥١٠). وأبو داود في سننه (٣/ ٩٧) برقم (٢٨٠٢) كتاب الضحايا. باب ما يُكرَه من الضحايا. والترمذي في جامعه (٤/ ٨٥) برقم (١٤٩٧) أبواب الأضاحي. باب ما لا يجوز من الأضاحي. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٥٠) برقم (٣١٤٤) كتاب الأضاحي. باب ما يُكرَه أن يُضحَّى به. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٣٨) برقم (٤٤٤٣) كتاب الضحايا. ما يُنهَى عنه من الأضاحي: العوراء. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٦١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٧) برقم (١٦٨٩) كتاب الحج. باب ركوب البدن. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٦١) برقم (١٣٢٣) كتاب الحج. باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها.



ولا يُعطَى الجزَّارُ شيئًا منها في مقابل أُجرته، لحديث عليٍّ- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ أمره ألَّا يُعطِي في جزارتها شيئًا، كما عند البخاري[١]، لأنَّ ذلك بمعنى البيع، وأمَّا إن أعطاه على سبيل الصدقة أو الهدية- بعد أن يُعطيَه أُجرته- فلا حرج في ذلك.

٥- ذبْحُها في وقتها المحدَّد، وهو من بعد صلاة العيد والخطبة، إلى قبل مغيب شمس آخر أيَّام التشريق، وهو اليوم الثالث عشر من أيَّام ذي الحجَّة، لقوله ﷺ:" إنَّ أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نُصلِّي، ثم نرجع فننحر، فمَن فعل هذا فقد أصاب سُنَّتنا، ومَن نحر قبل الصلاة فإنَّما هو لحمٌ قدَّمه لأهله، ليس من النُّسُك في شيءٍ" رواه البخاري[٢]، ولقوله ﷺ:" كلُّ أيَّامِ التشريقِ ذبْحٌ" رواه أحمد[٣].

وتُجزئ الأضحية الواحدة عن الرجل وأهل بيته وإن كثروا، لحديث أبي أيوب- رضي الله عنه- قال:" كان الرجل في عهد النبي ﷺ يُضحِّي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويُطعِمون" رواه الترمذي[٤].

ويُستحَبُّ للمُضحِّي أن يأكل من أضحيته، ويُهدي، ويتصدَّق، والأمر في ذلك واسع، لكن المختار عند أهل العلم أن يأكل ثلثًا، ويُهدي ثلثًا، ويتصدَّق بثلثٍ.

والأَولى للمُضحِّي أن يذبح أضحيته بنفسه إن كان يُحسِن الذبح، لأنَّ الذبح قُربة وعبادة، وله أن يُنيب عنه غيره، فقد نحر ﷺ بيده ثلاثًا وستين بَدَنة، واستناب عليًّا- رضي الله عنه- في نحْر ما تبقَّى[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٢) برقم (١٧١٦) كتاب الحج. باب لا يُعطَى الجزَّارُ من الهدْي شيئًا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٥٤) برقم (١٣١٧) كتاب الحج. باب في الصدقة بلحوم الهدي وجلودها وجلالها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٩) برقم (٩٦٨) أبواب العيدين. باب التبكير إلى العيد. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥٣) برقم (١٩٦١) كتاب الأضاحي. باب وقتها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٧/ ٣١٦) برقم (١٦٧٥١). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٦١٧).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٩١) برقم (١٥٠٥) أبواب الأضاحي. باب ما جاء أنَّ الشاة الواحدة تُجزي عن أهل البيت. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٥١) برقم (٣١٤٧) كتاب الأضاحي. باب مَن ضحَّى بشاةٍ عن أحدٍ. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٥٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

وينبغي أن يُراعِي آداب الذبح كالإحسان إلى الذبيحة وإراحتها، وأن يستقبل القبلة، وإن كانت الأضحية من الإبل فإنَّها تُنحَر قائمة معقولة يدها اليسرى، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّ ﴾[1]، وإن كانت من غير الإبل فإنَّها تُذبَح مضجعة على جنبها الأيسر.

ويُستحَبُّ وضْع الرِّجْل على صفحة عنقها، ويقول: بسمِ الله، اللهُ أكبرُ.

ولقد اتفق العلماء على أنَّ ذبْح الأضحية والتصدُّق بلحمها؛ أفضل من التصدُّق بقيمتها؛ لأنَّ رسول الله ﷺ ضحَّى، ولا يفعل إلَّا ما هو أَولى وأفضل.

وختامًا فعلى المضحِّي أن يُخلِص في أضحيته، ويبتغي بها وجه الله تعالي؛ قال سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]، ونُسُكي: أي ذبْحي.

---

(١) الحج: ٣٦.

(٢) الأنعام: ١٦٢.



٥ ذي الحجة

الصفا والمروة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

والصفا: جمع صفاة، والصفا والصفوان والصفواء كلُّه الحجر العريض الأملس، أو الصخرة الملساء القوية المختلطة بالحصى والرمل. قال الأزهري: الصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكَّة والمسجد(٢)، وقال ابن الأثير: الصفا أحد جبلَي المسعى(٣).

وجبل الصفا هو الجبل الذي يبدأ منه السعي، ويقع في الجهة الجنوبية مائلًا إلى الشرق على بعد نحو ١٣٠ مترًا من الكعبة. كما أنَّ الصفا في الأصل مكان عالٍ في أصل جبل أبي قبيس جنوب الصفا والمروة.

وذكر شمس الدين القرطبي وغيره سببًا آخر للتسمية فقال: أصل الصفا في اللغة الحَجَر الأملس، وهو جبل بمكَّة معروف، وذكَّر الصفا لأنَّ آدم- عليه السلام- وقف عليه فسُمِّي به، ووقفت حواء على المروة فسُمِّيت باسم المرأة فأُنِّثتْ لذلك. والله أعلم(٤).

والمروة: واحد المرو، وهي حجارة بيض برَّاقة صِلاب، أو الصخرة القويَّة المتعرِّجة، وهو الأبيض الصلب، وهي جبل بمكَّة. قال الفيروز آبادي: المروة حجارةٌ بِيضٌ برَّاقة(٥)، وهو جبل بمكَّة يُذكَر مع

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) يُنظَر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٥). تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقِّق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤١). النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٤) يُنظَر: تفسير القرطبي (٢/ ١٧٩). الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٥) القاموس المحيط (ص ١٣٣٤). القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.



الصفا، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز. وقال الزبيدي: قال الأصمعي: سُمِّي جبلُ المروةِ بذلك لكون حجارته بيضاء برَّاقة[١]. وقال الفيومي: المروة الحجارة البيض، والواحدة مروة، وسُمِّي بالواحدة الجبل المعروف بمكَّة[٢].

وقال الحموي: الصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكَّة والمسجد الحرام[٣].

وذكر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير): الصفا والمروة اسمان لجبلَيْنِ صغيرين متقابلين، فأمَّا الصفا فرأس نهاية جبل أبي قبيس، وأمَّا المروة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَانَ، وسُمِّي الصفا لأنَّ حجارته من الصفا، وهو الحجر الأملس الصلب، وسُمِّي المروة مروة لأنَّ حجارتها من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي توري النار[٤].

ولا شكَّ أنَّ للصفا والمروة أهمِّيَّة عظيمة في نفوس العرب، ومكانة كبيرة في تاريخ المسلمين، فهما من الآثار العظيمة والمشاعر المقدَّسة، والذكريات التاريخية التي خلَّدها الإسلام في كتابه العزيز، وفرَضَ على المسلمين السعي بينهما والوقوف عليهما؛ تخليدًا لذكرى وقوف آدم وحواء عليهما- كما جاء في بعض الأخبار-، وشكرًا لنعمة الله تعالى على هاجر وابنها إسماعيل- عليهما السلام- وعلى البشرية من بعدهما، عندما نبع ماء زمزم لهاجر بعد سعيها سبع مرَّاتٍ بين الصفا والمروة.

ففي صحيح البخاري عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- مرفوعًا: أنَّ هاجر أمَّ إسماعيل لما تركها إبراهيم بموضع مكَّة ومعها ابنها إسماعيل وهو رضيع، وترك لها جرابًا من تمر، وسقاءً فيه ماء، فلمَّا نفدَ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلتْ تنظر إليه يتلوَّى، فانطلقتْ كراهية أن تنظر إليه فوجدتِ الصفا أقربَ جبلٍ يليها فقامت عليه، ثم استقبلتِ الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا فهبطتْ من الصفا وأتتِ المروة، فقامتْ عليها فنظرتْ هل ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا، ففعلتْ ذلك سبع مرَّاتٍ،

---

(١) يُنظَر: تاج العروس (٣٩/ ٥٢١). تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، المحقِّق: مجموعة من المحقِّقين، الناشر: دار الهداية.

(٢) يُنظَر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٧٠). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية– بيروت.

(٣) معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

(٤) التحرير والتنوير (٢/ ٦٠). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.



قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ:" فلذلك سَعَى الناسُ بينهما". فسمعتْ صوتًا فقالتْ في نفسها: صه، ثم تسمَّعتْ فسمعتْ أيضًا، فقالتْ: قد أسمعتَ إن كان عندك غُوَاثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عند موضع زمزم، فبحث بعقبه حتَّى ظهر الماءُ، فشربتْ وأرضعتْ ولدَها[(١)].

وقد اختلفت الروايات والأقاويل في المسافة بين الصفا والمروة، فهناك من يقول: إنَّ المسافة بينهما تبلغ ٣٩٤,٥ مترًا، وهناك من يقول: إنَّها ٤٠٥ أمتار، وهناك من يقول: إنَّها ٣٧٥ مترًا.

ويتمُّ احتساب الشوط بداية من الصفا حتَّى ينتهي إلى المروة، وعند العودة من المروة إلى الصفا يتمُّ احتسابها شوطًا آخر، وليس احتساب الذهاب من الصفا إلى المروة والرجوع مرَّة أخرى شوطًا واحدًا، كما يُشترَط في السعي أن يكون بعد طواف؛ سواء كان ركنًا أم واجبًا أم نفلًا.

ويتمُّ احتساب الأشواط بداية من الصفا، وليس العكس، حيث تبدأ الأشواط من الصفا، ومع نهاية الشوط السابع يكون الساعي في المروة، كما بدأت السيدة هاجر- عليها السلام- أوَّلَ سعيها من الصفا إلى المروة.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر- رضي الله عنه-، وفيه: أنَّ رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه بالبيت؛ عاد إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من باب الصفا، وهو يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]، ثم قال: أبدأُ بما بدأَ الله به[(٣)].

وعن عروة بن الزبير بن العوام عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(٤)]. قلتُ: فوالله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يَطوَّف بهما؟ فقالت عائشة: بئسما قلتَ يا ابن أختي، إنَّها لو كانت على ما أوَّلتَها عليه كانت: فلا جناحَ عليه ألَّا يَطوَّف بهما، ولكنَّها إنَّما أُنزِلتْ أنَّ الأنصار كانوا قبل أن يُسلِموا كانوا يهلُّون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل. وكان مَن أهلَّ لها يتحرَّجُ أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله؛ إنَّا كنَّا نتحرَّجُ أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٢) برقم (٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٤) البقرة: ١٥٨.

﴿ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[(١)]. قالت عائشة: ثم قد سَنَّ رسولُ الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما. أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وقال الشعبي: كان إساف على الصفا، وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونهما، فتحرَّجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية. وذكر ابن إسحاق أنَّ إسافًا ونائلة كانا بَشَرَيْنِ، فزنيا داخل الكعبة، فمُسِخَا حجرين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة؛ ليعتبر بهما الناس، فلمَّا طال عهدهما عُبِدَا، ثم حُوِّلا إلى الصفا والمروة، فنُصِبا هنالك، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما[(٣)].

والسَّعْيُ بين الصفا والمروة ركنٌ في الحجِّ، وقيل: واجبٌ وليس بركنٍ، وقيل: بل مُستحَبٌّ، والقول الأوَّل أرجح. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٧) برقم (١٦٤٣) كتاب الحج. باب وجوب الصفا والمروة، وجُعِلَ من شعائر الله. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٨) برقم (١٢٧٧) كتاب الحج. باب بيان أنَّ السعي بين الصفا والمروة ركنٌ لا يصحُّ الحجُّ إلَّا به.

(٣) يُنظَر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٠).



٦ ذي الحجة

الحَجَر الأسود

الحَجَر الأسود يوجد في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج، وهو مبدأ الطواف ومنتهاه، ويرتفع عن الأرض متراً ونصفًا، وهو أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب. وهو محاط بإطار من الفضة الخالصة صونًا له، ويظهر مكان الحجر بيضاويًّا.

والسواد هو على الظاهر من الحَجَر، أمَّا بقية جرمه فهو على ما هو عليه من البياض.

وقد سطَّر بعض المؤرِّخين رؤيتهم ووصفهم للحَجَر الأسود عبر التاريخ. فممَّن رآه يوم قَلَعَهُ القرامطة في القرن الرابع: محمد بن نافع الخزاعي، فرأى السواد في رأسه فقط، وسائره أبيض، وطوله قدر ذراع.

وممَّن رآه ابن علَّان أثناء بناء الكعبة زمن السلطان مراد عام ١٠٤٠هـ. قال: ولون ما استتر من الحَجَر الأسود بالعمارة في جدر الكعبة أبيض بياض المقام- يعني مقام الخليل إبراهيم عليه السلام-، وذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل، وعرضه ثُلُثُ ذراع، ونقص منه قيراط في بعضه، وسُمْكُه أربعة قراريط(١).

ويُروى أنَّ القطع تبلغ خمس عشرة قطعة إلَّا أنَّ القطع السبع الأخرى مُغطَّاة بالمعجون البُنِّي الذي يراه كلُّ مستلِمٍ للحَجَر، وهو خليط من الشمع والمسك والعنبر موضوع على رأس الحَجَر الكريم. وقد أورد إبراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين رسمًا للحَجَر الأسود خمس عشرة قطعة، فلعلَّ هذا الرسم كان للحَجَر أثناء حجَّاته التي كان فيها أميرًا للحج، وقد كانت آخر إمرة له للحج سنة ١٣٢٥هـ.

والحَجَر الأسود جاء به جبريل إلى إبراهيم- عليهما السلام- من السماء؛ ليوضع في مكانه من البيت.

فقد روى ابن جرير في تفسيره، والأزرقي في أخبار مكَّة بإسناد حسن، وكذا رواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط مسلم، عن خالد بن عرعرة أنَّ رجلًا قام إلى عليٍّ- رضي الله

---

(١) يُنظَر: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (٤/ ١٠١). أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (وبعض القرون الماضية) المؤلف: محمد علي مغربي، الناشر (دار تهامة، دار البلاد) جدة، (مطبعة المدني) القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤- ١٤١٤هـ.



عنه- فقال:" ألا تخبرُني عن البيت؟ أهو أوَّل بيتٍ وُضِع في الأرض؟ فقال: لا، ولكن هو أوَّل بيتٍ وُضِع فيه البركة، مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمِنًا، وإن شئتَ أنبأتُك كيف بُنِيَ، إنَّ الله أوحى إلى إبراهيم أنِ ابنِ لي بيتًا في الأرض. قال: فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا، فأرسل الله السكينة- وهي ريح خجوج، ولها رأسان- فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكَّة، فتطوَّت على موضع البيت كتطوِّي الحجفة، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرُّ السكينة. فبنى إبراهيم وبقي حَجَرٌ، فذهب الغلام يبغي شيئًا، فقال إبراهيم: لا، ابغني حَجَرًا كما آمرُكَ. قال: فانطلق الغلام يلتمس له حَجَرًا، فأتاه فوجده قد ركَّبَ الحَجَر الأسود في مكانه، فقال: يا أبتِ؛ مَن أتاك بهذا الحَجَر؟ قال: أتاني به مَن لم يتَّكلْ على بنائك، جاء به جبريل من السماء. فأتمَّاه(١).

فالحَجَر الأسود نزل من السماء، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" نزل الحَجَر الأسود وهو أشدُّ بياضًا من اللبن، فسوَّدتْه خطايا بني آدم" رواه الترمذي(٢). وفي رواية النسائي:" الحَجَر الأسود من الجنَّة"(٣). وفي رواية أحمد:" نزل الحَجَر الأسود من الجنَّة، وكان أشدَّ بياضًا من الثلج، حتَّى سوَّدتْه خطايا أهل الشرك"(٤).

---

(١) يُنظَر: تفسير الطبري= جامع البيان (٢/ ٥٦٢)؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٢١)؛ أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٦٢). أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار، المؤلف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠ هـ)، المحقِّق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر- بيروت. تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٧) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحَجَر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٩٢).

(٣) رواه النسائي في سننه (٥/ ٢٢٦) برقم (٢٩٣٥) كتاب مناسك الحج. ذِكْر الحَجَر الأسود. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٦٠٦). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣) برقم (٢٧٩٥). والحديث صحَّحه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩). صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.



فانظروا إلى أثر الذنوب على القلوب، فإن كان أثرها هكذا على الحَجَر، فما بالكم بأثرها على قلب البشر؟

كذلك أخرج الترمذي وأحمد قول رسول الله ﷺ:" إنَّ الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنَّة"[١].

وقد جاء عن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- أنَّه جاء إلى الحَجَر الأسود فقبَّله، فقال:" إِنِّي أعلم أنَّك حَجَرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أَنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ يُقبِّلُكَ ما قبَّلتُك" رواه البخاري[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ لهذا الحَجَر لسانًا وشفتَينِ، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحقٍّ"[٣].

وثبت عن النبيِّ ﷺ أنَّه كلَّما حاذى الحَجَر الأسود في طوافه أشار إليه أو استلمه بمحجنه، وقبَّل المحجن[٤]، وهو عصا محنية الرأس.

وتذكر كتب السير والتاريخ بناء قريش للكعبة المشرَّفة قبل مبعث النبي ﷺ، لما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة- أي قبل بعثته بخمس سنوات-، اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لِما أصابها من تصدُّع جدرانها، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم- عليه السلام- رضمًا (حجارة) فوق القامة، وقد تمَّ تقسيم العمل في بناء الكعبة بين القبائل، وتولَّت كلٌّ واحدة منها ناحية من نواحي الكعبة، فجعلوا يبنونها بحجارة الوادي، ولما بلغ البنيان موضع الحَجَر الأسود دبَّ الشقاق بين قبائل قريش، فكلٌّ يريد أن ينال شرف رفْع الحَجَر الأسود إلى موضعه، وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم، حتَّى جاء أبو أميَّة بن المغيرة المخزومي فاقترح عليهم أن يُحكِّموا فيما اختلفوا فيه أوَّل مَن يدخل عليهم مِن باب المسجد الحرام، فوافقوا على اقتراحه وانتظروا أوَّل قادم، فإذا هو رسول الله ﷺ، وما إن رأوه حتَّى هتفوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمَّدٌ، وما إنِ انتهى إليهم حتَّى أخبروه الخبر، فقال: هلمَّ إليَّ ثوبًا،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٧٧) برقم (٧٠٠٠). والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٨) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحَجَر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٩) برقم (١٥٩٧) كتاب الحج. باب ما ذُكِرَ في الحَجَر الأسود. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٥) برقم (١٢٧٠) كتاب الحج. باب استحباب تقبيل الحَجَر الأسود في الطواف.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٦) برقم (٢٣٩٨). والترمذي في جامعه (٣/ ٢٨٥) برقم (٩٦١) أبواب الحج. باب ما جاء في الحَجَر الأسود. وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٨٢) برقم (٢٩٤٤) كتاب المناسك. باب استلام الحَجَر. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٧) برقم (١٢٧٥) كتاب الحج. باب جواز الطواف على بعير وغيره، واستلام الحَجَر بمحجن ونحوه للراكب.



فأتوه به فوضع الحَجَر في وسطه ثم قال: لتأخذْ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا، فلمَّا بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه[١]. وبقي منصوبًا في مكانه لم يطرأ عليه تغيير، حتَّى وقع الحريق العظيم في الكعبة المشرَّفة في حصار جيش الحصين ابن نمير لعبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما-، فتصدَّع الركن من الحريق ثلاث فرق، فشدَّه ابن الزبير بالفضَّة[٢].

وفي سنة ١٨٩هـ لما اعتمر هارون الرشيد، ورأى الفضة قد رقَّت ولقلقت حول الحَجَر حتَّى خافوا على الركن أن ينقض؛ أمر بالحجارة التي بيَّنها الحَجَر الأسود فثُقِبتْ بالماس من فوقها وتحتها، ثم أُفرِغت فيها الفضة[٣].

وفى عام ٣١٧هـ هاجم القرامطة مكَّة المكرَّمة وانتزعوا الحَجَر الأسود، ثم عادوا به إلى ديارهم، ووضعوه فى كعبةٍ بديلةٍ فى الإحساء ليحجَّ إليها الناس. وظلَّ معهم لمدة ٢٢ عامًا، يطوف الناس حول الكعبة ولا يجدون الحَجَر الأسود، حتَّى هدَّد الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى مصر القرامطة أن يُسيِّر لهم جيشًا إلى الإحساء ليُعيد الحَجَر الأسود، فخافوا على مُلكهم وأعادوا الحَجَر الأسود إلى مكَّة سنة ٣٣٩ هـ[٤].

هذا وقد قام العالِم البريطاني "ريتشار ديبرتون" برحلة إلى الحجاز مُتخفِّيًا في زي مغربي، مُدَّعيًا أنَّه مُسلِمٌ وكان يُجيد اللغة العربية، واندسَّ بين الحُجَّاج واستطاع أن يحصل على قطعة من الحجر، وحملها معه إلى لندن، وبدأت تجاربه عليها في المعامل الجيولوجية، فتأكَّد أنَّه ليس حَجَرًا أرضيًّا، بل هو من السماء، وسجَّل هذا في كتاب له بعنوان "الحجُّ إلى مكَّة والمدينة" الذي صدر باللغة الإنجليزية في لندن سنة ١٨٥٦م.

---

(١) يُنظَر: سيرة ابن اسحاق= السير والمغازي (ص ١٠٣) وما بعدها؛ سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ١٩٢) وما بعدها. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م. السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

(٢) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٢١٩).

(٣) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٣٤٧).

(٤) يُنظَر: موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص ٢٠٩). موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ/١٩٩٦- ١٩٩٧م، المؤلف: أحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.



٧ ذي الحجة

الرُّكن اليَمَاني

أركان الكعبة هي زوايا الكعبة الأربعة، وجاءت تسميتها باعتبار اتجاهاتها الأربعة تارةً، وجاءت باعتبار خصوصية أخرى فيها تارة أخرى. وهذه الأركان الأربعة هي:-

١- الرُّكن الشرقي: وهو الركن الذي يكون بجوار باب الكعبة، ويُقابلُ بئر زمزم تقريبًا، ويُسمَّى بالركن الشرقي؛ لكونه باتجاه المشرق تقريبًا، ويُسمَّى أيضًا بالركن الأسود؛ لأنَّ الحَجَر الأسود مُثَبَّتٌ فيه، ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة.

٢- الرُّكن العراقي: وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الشمالي؛ لمواجهته للشمال تقريبًا، وهو الركن الذي يكون على الجانب الشرقي من حِجْر إسماعيل، ويُسمَّى أيضًا بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق.

٣- الرُّكن الغربي: وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الغربي؛ لمواجهته للمغرب تقريبًا، ويُسمَّى أيضًا بالركن الشامي؛ لكونه باتجاه الشام، وهو الرُكن الذي يكون على الجانب الغربي من حِجْر إسماعيل.

٤- الرُّكن اليماني: وهو الركن الذي يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الجنوبي؛ لمواجهته للجنوب تقريبًا، ويُسمَّى أيضًا الركن اليماني؛ لكونه باتجاه اليمن، ويُسمَّى أيضًا بالمستجار. وهو أحد أركان الكعبة المشرَّفة في اتجاه الجنوب، وهو الركن الموازي لركن الحَجَر الأسود.

فالركن اليماني إذًا هو ركن الكعبة المشرَّفة الجنوبي الغربي، ويوازي الركن الجنوبي الشرقي الذي يوجَد به الحَجَر الأسود، وهو يسبق الحَجَر الأسود في الطواف، ويُسمَّى بالركن اليماني؛ لأنه باتجاه اليمن، يسامته من البلاد الجزء الجنوبي من أفريقيا من سواكن على البحر الأحمر والرأس الأخضر على المحيط الأطلسي إلى رأس الرجاء الصالح، فكل جهة تستقبل ركنها.

ومن مُمَيِّزات الركن اليماني أنَّه على القواعد الأولى للبيت التي رفعها إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام.

ومن السُّنَّة أن يستلم الطائف الركن اليماني بيده في كلِّ طوافٍ، ولا يُقبِّله، فإن لم يتمكَّن من استلامه؛ لم يُشرَع له الإشارة إليه بيده. ويقول بينه وبين الحَجَر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1][2].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الركن اليماني كان الرسول ﷺ يستلمه ولم يكن يُكبِّر، وعلى هذا فلا يُسَنُّ التكبير عند استلامه[3].

ولا يُشرَع استلام الركن الشمالي ولا الغربي، لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ.

وروى الشيخان من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه كان يقتصر على مسْح الركنين: اليماني، والذي فيه الحَجَر[4].

وقد طاف معاوية- رضي الله عنه- فجعل يستلم الأركان الأربعة، فأنكر عليه ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-، فقال معاوية: إنَّه ليس شيءٌ من البيت مهجورًا، فقال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5]، ولم يستلم النبي ﷺ من البيت إلَّا الركنين اليمانيين، فقال: صدقتَ. أخرجه أحمد والترمذي[6].

وفضائل هذا الركن عظيمة ومزاياه جليلة. فمن فضائله:

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١١٨) برقم (١٥٣٩٨). وأبو داود في سننه (٢/ ١٧٩) برقم (١٨٩٢) كتاب المناسك. باب الدعاء في الطواف. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٢٩) برقم (٣٩٢٠) كتاب المناسك. القول بين الركنين. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ٣٩٢). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٧/ ٢٤٧). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢- ١٤٢٨هـ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥١) برقم (١٦٠٩) كتاب الحج. باب مَن لم يستلم إلَّا الركنين اليمانيين. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٤) برقم (١٢٦٨) كتاب الحج. باب استحباب تقبيل الحَجَر الأسود في الطواف.

(٥) الأحزاب: ٢١.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٦٩) برقم (١٨٧٦). والترمذي في جامعه (٣/ ٢٠٤) برقم (٨٥٨) أبواب الحج. باب ما جاء في استلام الحَجَر والركن اليماني دون ما سواهما. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٣٥٨). صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.



ما جاء عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ مسْح الحَجَر الأسود والركن اليماني يحُطَّانِ الخطايا حطًّا" رواه أحمد[١].

ومنها: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" يأتي الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قبيس، له لسان وشفتان" رواه أحمد[٢].

ومنها: ما رواه نافع عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحَجَر في كلِّ طوافِه. قال نافع: وكان ابن عمر يفعله. رواه أبو داود والنسائي[٣].

ومن الحوادث التي حدثت للركن اليماني: ما ذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ في حوادث سنة سبع وأربعمائة، قال: تشعَّثَ الركن اليماني من البيت الحرام[٤]. بمعنى تفرَّقت أجزاؤه.

وما ذكره في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة قال: تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام- زاده الله شرفًا- من زلزلة، وانهدم بعضه[٥].

وقال صاحب النجوم الزاهرة: وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة؛ وقع من الركن اليماني قطعة، وتحرَّك البيت الحرام مرارًا. وهذا شيء لم يُعهَد منذ بناه عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما[٦].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٤٤٢) برقم (٥٦٢١). والنسائي في سننه (٥/ ٢٢١) برقم (٢٩١٩) كتاب مناسك الحج. ذِكْر الفضْل في الطواف بالبيت. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣٧). المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية— حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٦٠) برقم (٦٩٧٨). والحديث حسَّنه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨/ ٣١٣) برقم (٤٦٨٦). وأبو داود في سننه (٢/ ١٧٦) برقم (١٨٧٦) كتاب المناسك. باب استلام الركن. والنسائي في سننه (٤/ ١٢٧) برقم (٣٩١٤) كتاب المناسك. استلام الركنين في كل طواف. والحديث حسَّنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٠٨).

(٤) الكامل في التاريخ (٧/ ٦٤٠). الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥) الكامل في التاريخ (٨/ ٦٧٢).

(٦) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٦/ ١٣٩). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

وذُكِر أنَّه تم إلصاق قِطَعِ الركن اليماني بالمسامير في عهد الفاطميين، كما أنَّه في عام ١٠٤٠هـ في عهد السلطان مراد الرابع الذي جدَّد بناء الكعبة؛ انكسر طرف حَجَر الركن اليماني، فوُضِعَ في محل ذلك رصاصٌ مُذابٌ، وأُلصِق الجزء المكسور.

ورُمِّم الركن اليماني ضمن أعمال الترميم الشامل للكعبة المشرَّفة التي جرت في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عام ١٤١٧هـ.

والخلاصة: ما ذكره العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: أمَّا الركن اليماني فلم يرد- فيما نعلم- ما يدلُّ على الإشارة إليه، وإنَّما يستلمه بيمينه إذا استطاع من دون مشقَّة ولا يُقبِّله، ويقول:" بسم الله، والله أكبر" أو "الله أكبر"، أمَّا مع المشقَّة فلا يُشرَع له استلامه، ويمضي في طوافه من دون إشارة أو تكبير؛ لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه- رضي الله عنهم-.

أمَّا التكبير فيكون مرَّة واحدة، ولا أعلم ما يدلُّ على شرعية التكرار، ويقول في طوافه كلِّه ما تيسَّر من الدعوات والأذكار الشرعية، ويختم كلَّ شوطٍ بما ثبت عن النبي ﷺ أنَّه كان يختم به كلَّ شوطٍ، وهو الدعاء المشهور: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[(١)][(٢)].

وفي كتاب الأُمِّ للشافعي: وأُحِبُّ أن يستلم الركن اليماني بيده، ويُقبِّلها ولا يُقبِّله؛ لأنِّي لم أعلم أحدًا رَوى عن النبي ﷺ أنَّه قبَّل إلَّا الحَجَر الأسود، وإن قبَّله فلا بأس به[(٣)].

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٧/ ٢٢٠).

(٣) الأم للشافعي (٢/ ١٨٦).



٨ ذي الحجة

صوم يوم عرفة

صيام يوم عرفة وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجَّة، وفي فضْله جاء الحديث الشريف، كما في صحيح مسلم:" صيام يوم عرفة أحتَسِب على اللهِ أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله"[(١)].

فالحديث يدلُّ بظاهره على أنَّ صيام يوم عرفة يُكفِّر ذنوب سنتين.

والمراد بتكفير الذنوب: هي الصغائر، أمَّا الكبائر فلا بدَّ من التوبة منها، وهذه كفَّارة لما تجنَّب الكبائر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾[(٢)]، أي تكفير الصَّغائر.

ومن هذا قوله ﷺ:" الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفَّارةٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنِبَتِ الكبائرُ" رواه مسلم[(٣)]، يعني: الصَّغائر؛ لأنَّ الأحاديث يُفسِّر بعضُها بعضًا، إذا كانتِ الصَّلوات الخمس التي هي الفرائض لا تُكفِّر إلَّا الصَّغائر؛ فمن باب أولى صوم عرفة. وأمَّا حقوق العباد فلا بدَّ من ردِّها أو مسامحتهم.

كما أنَّه أحد الأيَّام العَشر من ذي الحجَّة، ومن المعلوم أنَّ الأيَّام العَشر الأوائل من ذي الحجَّة فترة زمنية مُبارَكة يُستَحبُّ فيها الإكثار من الطاعات والخيرات، وقد قال رسول الله ﷺ- كما رواه البخاري-:" ما من أيَّامٍ العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه العَشر- يعني العَشر الأوائل من ذي الحجَّة-، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلَّا رجلٌ خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء"[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٨) برقم (١١٦٢) كتاب الصيام. باب استحباب صيام ثلاثة أيَّام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣) كتاب الطهارة. باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهن ما اجتُنِبَت الكبائر.

(٤) رواه قريبًا منه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٦٩) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق. واللفظ المذكور رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٣) برقم (١٩٦٨). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

والصيام في هذا اليوم يُستَحَبُّ على وجه التأكيد لغير الحاجِّ ليكون الجميع وُقوفًا على باب الرحمة والمغفرة؛ هذا بحَجِّه، وذاك بصومِه، ولا يُستَحَبُّ صيام هذا اليوم للحاجِّ، فالأولى له الفطر؛ لأنَّه أرفق به في آداب الوقوف ومهمَّات المناسك، وتحكي أمُّ الفضل بنت الحارث امرأة العبَّاس بن عبد المطَّلِب- رضي الله عنهما-: أنَّ ناسًا تمارَوْا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلتْ إليه بقدح لبن، وهو واقفٌ على بعيرِه بعرفة فشَرِبَه، وفي رواية: فشَرِب منه، والناس ينظرون إليه. رواه البخاري ومسلم(١).

قال ابن القيم- رحمه الله-: وكان من هديه ﷺ إفطار يوم عرفة بعرفة(٢).

وروى النسائي عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: حججتُ مع رسول الله ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، ومع عثمان فلم يصمه، وأنا لا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه. صحَّحه الألباني(٣).

وحكى الحافظ ابن حجر في الفتح عن الجمهور أنَّه يُستحَبُّ إفطار يوم عرفة للحاجِّ. وقال عطاء: مَن أفطر يوم عرفة ليتقوَّى به على الدعاء؛ كان له مثل أجر الصائم(٤).

وإذا وافق يوم عرفة يوم جمعة جاز إفراده بالصوم، والنهي الوارد عن إفراد صوم يوم الجمعة بدون سبب، ولكونه يوم جمعة أي تعظيمًا له أو ما شابه ذلك، أمَّا من صامه لأمرٍ آخر رغَّب فيه الشرع وحثَّ عليه فليس بممنوع، بل مشروع ولو أفرده بالصوم، ولو صام يومًا قبله بالنسبة ليوم عرفة كان أفضل، أمَّا صيام يوم بعده فلا يُمكن لأنَّ اليوم الذي بعده يوم عيد النحر، وهو مُحرَّمٌ صيامه لجميع المسلمين حُجَّاجًا كانوا أم غير حُجَّاج؛ لحديث أبي سعيد- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ:" نهى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٢) برقم (١٦٦١) كتاب الحج. باب الوقوف على الدابة بعرفة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٩١) برقم (١١٢٣) كتاب الصيام. باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٧٣). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٣٠٩) برقم (٥٤٢٠). والترمذي في جامعه (٣/ ١١٦) برقم (٧٥١) أبواب الصوم. باب كراهية صوم يوم عرفة بعرفة. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٢٨) برقم (٢٨٤٠) كتاب الصيام. إفطار يوم عرفة بعرفة، وذكر الاختلاف على أيوب في خبر ابن عبَّاس فيه. والحديث صحَّح إسناده الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٢٥١).

(٤) يُنظَر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٣٨).



عن صوم يومين: يوم الفطر ويوم النحر" متفق عليه[١]، وروى أبو عبيد مولى ابن الأزهر قال: شهدتُ العيد مع عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-، فجاء فصلَّى، ثم انصرف فخطب الناس، فقال:" إنَّ هذَينِ يومَينِ نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما؛ يوم فطركم من صيامكم، والآخر يوم تأكلون فيه من نُسُككم" رواه البخاري ومسلم[٢]، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه وتحريمه.

وهذا سؤال ورد إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

هل يجوز للشخص أن يُشرِك النِّيَّة في عملٍ واحدٍ أو لعملٍ واحدٍ، فمثلًا يكون عليه قضاء يوم من شهر رمضان وجاء عليه يوم وقفة عرفة، فهل يجوز أن ينوي صيام القضاء والنافلة في هذا اليوم، وتكون نيَّته أداء القضاء ونيَّة أخرى للنافلة؟

الجواب: لا حرج أن يصوم يوم عرفة عن القضاء، ويُجزئه عن القضاء، ولكن لا يحصل له مع ذلك فضْل صوم عرفة، لعدم الدليل على ذلك. لكن الأفضل للإنسان أن يقضي ما عليه من الصوم في غير يوم عرفة، ليجمع بين فضيلتَينِ: فضيلة القضاء، وفضيلة صوم يوم عرفة[٣].

وأيضًا نُذكِّر بالحديث الشريف الصحيح الذي يقول فيه ﷺ:" لا يحِلُّ للمرأة أن تصوم وزوجُها شاهدٌ إلَّا بإذنه" متفق عليه[٤]، فالمرأة ليس لها أن تصوم تطوُّعًا وزوجها حاضر إلَّا بإذنه؛ لأنَّه قد يحتاج إليها- يستمتع بها-، فيمتنع بأسباب الصوم، فليس لها أن تصوم إلَّا بإذنه؛ لأنَّ له حقَّ الاستمتاع، ما عدا رمضان، فرمضان فريضة، فلا يحتاج إلى إذنٍ، عليها أن تصوم رمضان، ولهذا رُوي في سنن أبي داود بزيادة: "إلَّا رمضان"[٥]، أو صوم قضاء ما عليها عن أيَّام الحيض، عليها أن تصومها، ولو لم يأذن، عليها أن تصومها؛ لأنَّها من رمضان- قضاء رمضان-، ففي الحيض أو النفاس أفطرتْ في رمضان، فعليها أن تقضي، وليس له منْعُها من القضاء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٢) برقم (١٩٩١) كتاب الصوم. باب صوم يوم الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤٠) كتاب الصيام. باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٢) برقم (١٩٩٠) كتاب الصوم. باب صوم يوم الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٩٩) برقم (١١٣٧) كتاب الصيام. باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.

(٣) يُنظَر: فتاوى اللجنة الدائمة- ١ (١٠/ ٣٩٧). فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٠) برقم (٥١٩٥) كتاب النكاح. باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحدٍ إلَّا بإذنه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١١) برقم (١٠٢٦) كتاب الزكاة. باب ما أنفق العبد من مال مولاه.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٣٠) برقم (٢٤٥٨) كتاب الصوم. باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٦٣).

وختامًا؛ فلصيام التطوُّع فوائد ومزايا كثيرة، ينبغي للمسلم تتبُّعها وتقصِّيها، منها ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾[1]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]، فكلُّ إنسانٍ يحتاج إلى فِعْل الخير والعمل الصالح تقرُّبًا إلى الله، وتعبُّدًا له وزيادة في الأجر والثواب، فعطاء الله لا ممسك له، وثوابه لا حدود له، فعلى المسلم أن يُكثر من فِعْل الخير والعمل الصالح يرجو بذلك أحد أمرين:

الأول: التقرُّب إلى الله بِفِعْلِ الخير: فصيام التطوُّع من الأعمال التي تُقرِّب إلى الله تعالى، كما قال الإمام أحمد- رحمه الله-: الصيام أفضل ما تُطوّع به؛ لأنَّه لا يدخله الرياء[3].

وكما قال ﷺ:" ما من عبدٍ يصوم يومًا في سبيل الله إلَّا باعد الله بذلك اليوم عن وجهه النَّار سبعين خريفًا" متفق عليه[4]، وقال ﷺ أيضًا:" وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه" رواه البخاري[5].

الثاني: جبْرُ الخلل الحاصل في العبادة؛ فالإنسان لا يخلو من خطأ ونقص ومعصية، فكانت النوافل تُكمل الناقص من الفرائض، ومن ذلك الصوم، فشُرِع التطوُّع لجبر ذلك النقص، ولهذا قال النبي ﷺ:" التطوُّع تُكمَلُ به الفرائضُ يوم القيامة" رواه أحمد وأبو داود[6].

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) الحج: ٧٧.

(٣) يُنظَر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٣/ ٥٢٨). توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكَّة المكرَّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٦) برقم (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير. باب فضْل الصوم في سبيل الله. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٨) برقم (١١٥٣) كتاب الصيام. باب فضْل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضررٍ ولا تفويت حقٍّ.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق. باب التواضع.

(٦) جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى:" انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ؟ فإن كان له تطوَّعٌ قال: أتِمُّوا لعبدي فريضته من تطوُّعه" مسند أحمد (١٥/ ٢٩٩) برقم (٩٤٩٤). سنن أبي داود (١/ ٢٢٩) برقم (٨٦٤) كتاب الصلاة. باب قول النبي ﷺ: «كلُّ صلاةٍ لا يُتِمُّها صاحبها تتمُّ من تطوُّعه». وسنن الترمذي (٢/ ٢٧٢) برقم (٤١٣) أبواب الصلاة. باب ما جاء أنَّ أوَّل ما يُحاسَبُ به العبد يوم القيامة الصلاة. السنن الكبرى للنسائي (١/ ٢٠٥) برقم (٣٢١) كتاب الصلاة. المحاسَبة على ترْك الصلاة. وسنن ابن ماجه (١/ ٤٥٨) برقم (١٤٢٦) كتاب إقامة الصلاة والسُنَّة فيها. باب ما جاء في أوَّل ما يُحاسَبُ به العبد الصلاة. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤١٩).

٩ ذي الحجة

التكبير المُقيَّد أدبار الصلوات

التكبير في عيد الأضحى مشروعٌ من أوَّل الشهر إلى نهاية اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجَّة؛ لقول الله سبحانه: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾(١)، وهي أيَّام العَشْر، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾(٢)، وهي أيَّام التشريق؛ ولقول النبي ﷺ:" أيَّامُ التشريقِ أيامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ" رواه مسلم(٣).

والتكبير نوعان: مُطلَق: وهو الذي لا يتقيَّد بشيء، فيُسَنُّ دائمًا، في الصباح والمساء، قبل الصلاة وبعد الصلاة، في جميع الأوقات، ولا يُخَصُّ بمكان مُعيَّن، فيُستحَبُّ في المنازل والمساجد والطرقات، ومُقيَّد: وهو الذي يتقيَّد بأدبار الصلوات.

والتكبير المطلَق والمقيَّد يجتمعان في أصحِّ أقوال العلماء في خمسة أيَّام، وهي: يوم عرفة ويوم النحر وأيَّام التشريق الثلاثة.

وأمَّا اليوم الثامن وما قبله إلى أوَّل الشهر؛ فالتكبير فيه مُطلَق لا مُقيَّد، وفي المسند عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال:" ما من أيَّام أعظمُ عند الله ولا أحبُّ إليه العمل فيهنَّ من هذه الأيَّام العَشْر، فأكثروا فيهنَّ من التهليل والتكبير والتحميد" رواه أحمد(٤).

فإذا سَلَّم من الفريضة واستغفر ثلاثًا وقال:" اللهمَّ أنتَ السلام، ومنكَ السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام" رواه مسلم(٥)؛ بدأ بالتكبير.

وقد نقل الإمام أحمد الإجماع على التكبير المقيَّد الذي يكون بعد صلاة الصبح من يوم عرفة، فقد حكاه عن عمر وعليٍّ وابن مسعود وابن عبَّاس- رضوان الله عليهم-(٦).

---

(١) الحج: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٠٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤١) كتاب الصيام. باب تحريم صوم أيَّام التشريق.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٩٦) برقم (٦١٥٤). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٤). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدِّين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٤) برقم (٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الذِّكْر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٦) يُنظَر: العدة شرح العمدة (ص ١٢٤). العدة شرح العمدة، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: ٦٢٤هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.



١- عن عُمرَ بنِ الخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عنه-: أنَّه كان يُكبِّر دُبرَ صلاةِ الغداةِ من يومِ عَرفةَ إلى صلاةِ الظهر مِن آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ[١].

٢- عن عليٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه-: أنَّه كان يُكبِّرُ من صلاةِ الفجرِ يومَ عَرفةَ، إلى صَلاةِ العَصرِ مِن آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ[٢].

٣- عنِ الأَسودِ قال: كانَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ- رضي الله عنه- يُكبِّر من صلاةِ الفَجرِ يومَ عَرفةَ، إلى صلاةِ العصرِ من النَّحرِ؛ يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ،، لا إلهَ إلَّا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمدُ[٣].

٤- عن ابنِ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما-: أنَّه كان يُكبِّرُ من غَداةِ عَرفةَ إلى صَلاةِ العَصرِ من آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ[٤].

فالتكبير المقيَّد مُستحَبٌّ بالإجماع، وهو الذي يكون في أدبار الصلوات الخمس بعد الاستغفار، خاصَّةً إذا أُدِّيَتْ في جماعة، كما يشترط أكثر الفقهاء، وليس في مشروعيَّته حديثٌ صحيحٌ مرفوعٌ، لكن نُقِلَ فيه إجماع الصحابة، قال الإمام النووي: وأمَّا التكبير المقيَّد؛ فيُشرَع في عيد الأضحى بلا خلافٍ لإجماع الأمَّة[٥].

وقال ابن رجب: اتفق العلماء على أنَّه يُشرَع التكبير عقيب الصلوات في هذه الأيَّام في الجملة، وليس فيهِ حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ، بل إنَّما فيهِ آثار عن الصحابة ومَن بعدهم، وعملُ المسلمين عليه[٦].

بل بلغ من أهمِّيَّة التكبير المقيَّد بأدبار الصلوات أنَّ العلماء قالوا: يقضيه إذا نسيه، فإذا نسي أن يُكبِّر عقب الصلاة؛ فإنَّه يُكبِّر إذا ذكر، ولو أحدث أو خرج من المسجد ما لم يطل الفصل بين الصلاة والتكبير.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٩) برقم (٥٦٣٩).

(٥) المجموع شرح المهذب (٥/ ٣٢). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار الفكر، ((طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي)).

(٦) فتح الباري لابن رجب (٩/ ٢٢).



وهل يُكبَّر في أدبار صلاة النوافل؟ الجمهور على أنَّه لا يُشرَع التكبير في دبر صلاة النافلة، قال القاضي عياض: اختلفوا في التكبير دبر النوافل، فلم ير ذلك مالكٌ في المشهور عنه، والثوري، وأحمد، وإسحاق. وقال الشافعي: يُكبِّر(١).

فالتكبير في أيَّام التشريق بعد الصلوات محفوظٌ مِن فِعْلِ الصحابة- رضوان الله عليهم-، وعمر- رضي الله عنه-، وجماعة من الصحابة، ويُروَى عن النبي ﷺ، لكنَّ في إسناده ضعفًا(٢).

فالتكبير المقيَّد دبر الصلوات في عيد النحر مشروع، ووقت ابتدائه على الراجح من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيَّام التشريق. ويستمرُّ إلى ثلاث وعشرين صلاة مفروضة.

قال العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: ورُوِي عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- التكبير في أدبار الصلوات الخمس من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم الثالث عشر من ذي الحجَّة، وهذا في حقِّ غير الحاجِّ، أمَّا الحاجُّ فيشتغل في حال إحرامه بالتلبية حتَّى يرمي جمرة العقبة يوم النحر، وبعد ذلك يشتغل بالتكبير(٣).

وممَّا يُذكَر ههنا أنَّه ليس في عيدِ الفِطرِ تكبيرٌ مُقيَّدٌ عقبَ الصلواتِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيَّة الأربعة: الحَنَفيَّة(٤)، والمالِكيَّة(٥)، والشافعيَّة على الأصحِّ(٦)، والحَنابِلَة على

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٣٠١). شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسَمَّى: إِكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقِّق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) يُنظَر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٨/ ٦٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٨).

(٤) يُنظَر: النهاية في شرح الهداية (٤/ ٩١). النهاية في شرح الهداية (شرح بداية المبتدي) تأليف: حسين بن علي السغناقي الحنفي (ت ٧١٤ هـ)، تحقيق: رسائل ماجستير- مركز الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، الأعوام: ١٤٣٥- ١٤٣٨ هـ.

(٥) يُنظَر: البيان والتحصيل (١/ ٢٨٧). البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حقَّقه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٦) يُنظَر: المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (١/ ٢٢٧)؛ نهاية المطلب في دراية المذهب (٢/ ٦١٤). المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. نهاية المطلب في دراية المذهب، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، حقَّقه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدِّيب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

الصَّحيح[١]؛ وذلك لأنَّه لم يُنقَلْ عن النبيِّ ﷺ ولا عن أصحابِه، ولو كان مشروعًا لفُعِل ولَنُقِلَ[٢].

ويُسنُّ الجهرُ بالتكبيرِ للرِّجالِ[٣]، وهذا مذهبُ الجمهور: المالِكيَّة[٤]، والشافعيَّة[٥]، والحَنابِلَة (٦)، وهو روايةٌ عن أبي حَنيفةَ، وقال به من الحَنَفيَّة أبو يوسف ومحمَّد بن الحسن.[٧] والطحاويُّ[٨]، عن أمِّ عَطيَّةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:"كُنَّا نُؤمَر أنْ نَخرُجَ يومَ العيدِ، حتَّى نُخرِجَ البِكرَ مِن خِدْرِها، وحتَّى نُخرِجَ الحُيَّضَ، فيَكُنَّ خلْفَ الناسِ، فيُكبِّرْنَ بتكبيرِهم، ويَدْعون بدُعائِهم، يرجونَ بَرَكةَ ذلِك اليومِ وطُهرتَه" رواه البخاري ومسلم[٩]، فلولا إظهارُ التكبيرِ من الرِّجالِ؛ لَمَا كبَّر النِّساءُ خَلفَهم بتكبيرِهم.

---

(١) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٥/ ٣٦٨). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي- الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة- جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) يُنظَر موقع الدرر السنية: حكم التكبير في عيدِ الفِطرِ - الموسوعة الفقهية - الدرر السنية(dorar.net) .

(٣) يُنظَر موقع الدرر السنية: ألفاظ التكبير وصفته - الموسوعة الفقهية - الدرر السنية(dorar.net) .

(٤) يُنظَر: شرح الرسالة (١/ ٤٤)؛ الجامع لمسائل المدونة (٣/ ٩٤٣). شرح الرسالة، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م. الجامع لمسائل المدونة، المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى: ٤٥١هـ)، المحقِّق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصَى بطبعها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

(٥) يُنظَر: مختصر المزني (٨/ ١٢٤)؛ بحر المذهب للروياني (٢/ ٤٥٧). مختصر المزني (مطبوع مُلحَقًا بالأُمِّ للشافعي)، المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ)، الناشر: دار المعرفة- بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)، المؤلف: الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت ٥٠٢هـ)، المحقِّق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

(٦) يُنظَر: الإرشاد إلى سبيل الرشاد (ص ١٠٧)؛ المغني لابن قدامة (٣/ ٢٥٦). الإرشاد إلى سبيل الرشاد، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي موسى الشريف، أبو علي الهاشمي البغدادي (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقِّق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٧) يُنظَر: تحفة الفقهاء (١/ ١٧٠). تحفة الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٨) يُنظَر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٢/ ١٥٠).

(٩) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٧١) أبواب العيدين. باب التكبير أيَّام منى، وإذا غدا إلى عرفة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٦) برقم (٨٩٠) كتاب صلاة العيدين. باب ذِكْر إباحة خروج النِّساء في العيدين إلى المصلَّى وشهود الخطبة مفارقاتٍ للرِّجال.



هذا وقد أنكر البعضُ التكبيرَ المقيَّدَ لعدم وروده عن النبي ﷺ في حديث صحيح، وممَّا أعجبني قول العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله تعالى-: كلُّ الأيَّام الثلاثة عشرة فيها تكبير مُطلَق، لكن من يوم عرفة إلى آخر أيَّام التشريق فيها مُقيَّدٌ أيضًا، يُكبِّرُ دبر الصلاة مع أذكار الصلوات، والمسألة هذه أمرها واسع، يعني لو أنَّ الإنسان لم يُكبِّر التكبير المقيَّد واكتفى بأذكار الصلوات؛ لكفى، ولو كبَّر حتَّى في أيَّام المطلَق دبر الصلوات؛ لجاز ذلك، الأمر في هذا واسع، لأنَّ الله تعالى قال في أدبار الصلوات: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[3]، فكلُّها ذِكْرٌ، والأمر في هذا واسع، والمهمُّ أن نُعمِّر أوقات هذه العَشْر وأيَّام التشريق بالذِّكْر[4].

---

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) الحج: ٣٤.

(٣) البقرة: ٢٠٣.

(٤) دروس للشيخ العثيمين (٥/ ٩، بترقيم الشاملة آليًّا). دروس الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.



١٠ ذي الحجة

اليوم أكملتُ لكم دينكم

يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١)، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: هذه أكبر نعم الله عزَّ وجلَّ على هذه الأُمَّة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم- صلوات الله وسلامه عليه-، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجنِّ، فلا حلال إلَّا ما أحلَّه، ولا حرام إلَّا ما حرَّمه، ولا دين إلَّا ما شرعه، وكلُّ شيءٍ أخبر به فهو حقٌّ وصدقٌ، لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾(٢)، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلمَّا أكمل الدين لهم تمَّت النعمة عليهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٣)، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنَّه الدين الذي رضيه الله وأحبَّه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كُتُبِهِ.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٤)، وهو الإسلام، أخبر الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنَّه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمَّه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ، ورجع رسول الله ﷺ فمات. قالت أسماء بنت عميس- رضي الله عنها-: حججتُ مع رسول الله ﷺ تلك الحجَّة، فبينما نحن نسير؛ إذ تجلَّى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركتْ فأتيتُه فسجَّيتُ عليه بُردًا كان عليَّ.

قال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بواحدٍ وثمانين يومًا. رواهما ابن جرير، ثم قال: حدَّثنا سفيان بن وكيع، حدَّثنا ابن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الأنعام: ١١٥.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) المائدة: ٣.



نزلتْ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[(١)]، وذلك يوم الحج الأكبر؛ بكى عمر فقال له النبي ﷺ: ما يُبكيك؟ قال: أبكاني أنَّا كنَّا في زيادة مِن ديننا، فأمَّا إذ أُكمِلَ؛ فإنَّه لم يُكمَل شيءٌ إلَّا نقص. فقال: صدقتَ.

ويشهد لهذا المعنى الحديثُ الثابتُ:" إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء" رواه مسلم[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا جعفر بن عون، حدَّثنا أبو العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّكم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلتْ؛ لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[(٣)]، فقال عمر: واللهِ إنِّي لأعلم اليوم الذي نزلتْ على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلتْ فيها على رسول الله ﷺ، نزلتْ عشية عرفة في يوم جمعة[(٤)].

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به. ورواه أيضًا مسلم[(٥)] والترمذي والنسائي من طرق عن قيس بن مسلم به، ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري، عن قيس عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: إنَّكم تقرأون آية؛ لو نزلتْ فينا لاتَّخذناها عيدًا. فقال عمر: إنِّي لأعلم حين أُنزلتْ، وأين أُنزلتْ، وأين رسول الله ﷺ حيث أُنزلت يوم عرفة، وأنا والله بعرفة[(٦)(٧)].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه دون قوله "فطوبي للغرباء" (١/ ١٣١) برقم (١٤٦) كتاب الإيمان. باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنَّه يأرز بين المسجدين. واللفظ المذكور رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٢٠) برقم (٣٩٨٧) كتاب الفتن. باب بدأ الإسلام غريبًا. والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢٦٧).

(٣) المائدة: ٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٢٠) برقم (١٨٨).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٣) برقم (٣٠١٧) كتاب التفسير.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٠) برقم (٤٦٠٦) كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {اليوم أكملتُ لكم دينكم} المائدة: ٣.

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦).

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا ابن علية، أخبرنا رجاء بن أبي سلمة، أخبرنا عبادة بن نسي، أخبرنا أميرنا إسحاق عن قبيصة قال: قال كعب: لو أنَّ غير هذه الأُمَّة نزلتْ عليهم هذه الآية؛ لنظروا اليوم الذي أُنزلتْ فيه عليهم، فاتَّخذوه عيدًا يجتمعون فيه. فقال عمر: أيُّ آيةٍ يا كعب؟ فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[1]، فقال عمر: قد علمتُ اليوم الذي أُنزلتْ فيه، والمكان الذي أُنزلتْ فيه، نزلتْ في يوم جمعة ويوم عرفة، وكلاهما- بحمد الله- لنا عيدٌ[2].

وقال السعدي:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسُّنَّة كافيَينِ كلَّ الكفاية في أحكام الدين؛ أصوله وفروعه. فكلُّ مُتكلِّفٍ يزعم أنَّه لا بدَّ للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسُّنَّة، من علم الكلام وغيره؛ فهو جاهل، مُبطِلٌ في دعواه، قد زعم أنَّ الدين لا يكمُل إلَّا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله ﷺ، (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) الظاهرة والباطنة، (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أي: اخترتُه واصطفيتُه لكم دينًا، كما ارتضيتُكم له، فقوموا به شُكْرًا لربِّكم، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها[3].

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: قال: بعث الله نبيَّه بشهادة أن لا إله إلَّا الله، فلمَّا صدَّق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلمَّا صدَّقوا بها زادهم الصيام، فلمَّا صدَّقوا به زادهم الزكاة، فلمَّا صدَّقوا بها زادهم الحجَّ، فلمَّا صدَّقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل الله لهم دينهم، فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[4][5]، ومعلوم أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأصحابه لم يحجُّوا حجَّة الفرض إلَّا ذلك

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) تفسير الطبري= جامع البيان (٩/ ٥٢٦).

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٢٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، المحقِّق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٥٢). تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقِّق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.



العام، فلمَّا حجُّوا حجَّة الإسلام؛ كمل لهم الدين بتكميلهم أركان الإسلام حينئذ. ولم يكن الدين قبل ذلك ناقصًا، كنقص مَن ترك شيئًا من واجبات دينه، بل كان الدين في كل زمان كاملًا بالنسبة إلى ذلك الزمان بما فيه من الشرائع والأحكام، وإنَّما هو ناقصٌ بالنسبة إلى الزمان الذي بعده، الذي تَجدَّد فيه من الشرائع والأحكام ما لم يكن قبل ذلك.

وفي الختام؛ فلا خلاف في أنَّ الدين قد كمُل قبل وفاة الرسول ﷺ تشريعًا وتوحيدًا، وعبادة وأخلاقًا، فالوحي قد كمُل قطعًا، والدين قد تمَّ، ولكنَّ هذا لا يمنع من الاجتهاد؛ لاستنباط حكمٍ للاختلاف في فهْم آيةٍ أو صحَّةِ حديثٍ، أو كون بعض ذلك ناسخًا أو منسوخًا، أو مُخصَّصًا أو مُقيَّدًا أو مُبيِّنًا، ونحو ذلك ممَّا تُمليه أساليب اللغة وأصول التشريع.

ولماذا عبَّر عند الحديث عن الدين بالكمال، وعن النعمة بالتمام؟ ذلك لأنَّ الكمال لا يقتضي الزيادة، والتمام يقتضي الزيادة، فنِعَمُهُ سبحانه وتعالى في زيادةٍ لا نهاية لها.

١١ذي الحجة

أيَّامُ التشريقِ أيامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ لله

أيَّام التشريق أيَّام ذِكْر الله تعالى وشُكره، وإن كان الحقُّ أن يُذكَر الله تعالى ويُشكَر في كلِّ وقتٍ وحينٍ، لكن يتأكَّد في هذه الأيَّام المباركة. يقول النبي ﷺ:" أيَّامُ التشريق أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ الله" رواه مسلم(١)، وفي رواية له أيضًا:" من كان صائمًا فلْيُفطرْ؛ فإنَّها أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ" رواه أحمد(٢).

والتشريق مصدر شرَّق اللحمَ أي قددَّه. ومنه أيَّام التشريق، وهي ثلاثة أيَّامٍ بعد يوم النحر؛ لأنَّ لحوم الأضاحِي تُشرَّق أي تُشرَّر في الشَّمس. ويُقال: سُمِّيتْ بذلك لقولهم: أَشرِقْ يا ثبير (وهو جبلٌ)، كيما نندفع في السير. وقال ابن الأعرابيِّ: سُمِّيتْ بذلك لأنَّ الهَدْيَ لا يُذْبَح حتَّى تُشرق الشَّمس(٣).

قال الحافظ ابن رجب- رحمه الله تعالى-: وفي قول النبي ﷺ:" إنَّها أيَّامُ أكْلٍ وشرْبٍ وذِكْرٍ لله عزَّ وجلَّ" إشارة إلى أنَّ الأكل في أيَّام الأعياد والشُّرْب؛ إنَّما يُستعان به على ذِكْر الله تعالى وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يُستعان بها على الطاعات، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالأكل من الطَّيِّبات والشكر له، فمَنِ استعان بنعم الله على معاصيه فقد كفر نعمة الله وبدَّلها كُفرًا، وهو جديرٌ أن يُسلَبَها كما قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ
وداوِمْ عليها بِشُكْرِ الإلهِ ... فشُكْرُ الإلهِ يُزيلُ النِّقَمْ

وخصوصًا نعمة الأكل من لحوم بهيمة الأنعام، كما في أيَّام التشريق، فإنَّ هذه البهائم مُطيعةٌ لله لا تعصيه، وهي مُسبِّحةٌ لله قانتة، كما قال تعالى:﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(٤)،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤١)كتاب الصيام. باب تحريم صوم أيَّام التشريق.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٥١) بدون رقم. والحديث جوَّد إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٥٤٠).

(٣) يُنظَر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٠١). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٤) الإسراء: ٤٤.



وإنَّها تسجد له كما أخبر بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2]، وربَّما كانتْ أكثر ذِكْرًا لله مِن بعض بني آدم، وفي المسند مرفوعًا: "رُبَّ بهيمةٍ خيرٌ من راكبها، وأكثرُ لله منه ذِكْرًا" رواه أحمد[3][4].

وذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ المأمور به في أيَّام التشريق أنواع مُتعدِّدة:

منها: ذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير في أدبارها، وهو التكبير المقيَّد، وهو مشروعٌ إلى آخر أيَّام التشريق عند جمهور العلماء.

ومنها: ذِكْرُه بالتسمية والتكبير عند ذبْح النُّسُك، فإنَّ وقت ذبْح الهدايا والأضاحي يمتدُّ إلى آخر أيَّام التشريق.

ومنها: ذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ على الأكْل والشرْب، فإنَّ المشروع في الأكْل والشرْب أن يُسمِّي اللهَ في أوَّله، ويحمدَه في آخره، وفي الحديث عن النبي ﷺ: " إنَّ الله عزَّ وجلَّ يرضى عن العبد أن يأكلَ الأكْلة فيحمدَه عليها، ويشربَ الشَّرْبة فيحمدَه عليها" رواه مسلم[5].

ومنها: ذِكْرُه بالتكبير عند رمْي الجمار أيَّام التشريق، وهذا يختصُّ به الحُجَّاج.

ومنها: ذِكْرُ الله تعالى المطلَق، فإنَّه يُستحَبُّ الإكثار منه في أيَّام التشريق، وقد كان عُمرُ- رضي الله عنه- يُكبِّر بمنًى في قُبَّته، فيسمعه الناس فيُكبِّرون فترتجُّ منًى تكبيرًا[6]، وقد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا

---

(١) النحل: ٤٩.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٢) برقم (١٥٦٢٩). وهذه الزيادة في الحديث ضعَّفها الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٠).

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ١٦٣). روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٥) برقم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب استحباب حمْد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

(٦) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٣٧) برقم (٦٢٦٧).

فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[(١)] . وقد استحبَّ كثيرٌ من السلف كثرة الدعاء بهذا الدعاء في أيَّام التشريق.

يقول العلَّامة ابن باز– رحمه الله–: نهى النبي ﷺ عن صوم أيَّام التشريق، وبعث مَن يُنادِي في الناس: ألَّا تُصام؛ لأنَّها أيَّام أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ، الناس يأكلون ويشربون، ويتقرَّبون إلى الله بالذبائح، بالهدْي والضحايا؛ فيأكلون ويشربون، ما هي بأيَّام صومٍ، لا صوم فريضةٍ، ولا صوم نافلةٍ، بل الواجب الفطر في يوم العيد وأيَّام التشريق؛ أربعة أيَّام يجب إفطارها، فهي أيَّام أكْلٍ وشرْبٍ وذكْرٍ إلَّا من لم يستطع الهدْي؛ هدْي التَّمتُّع؛ فإنَّه له أن يصوم الثلاثة الأيَّام، خاصَّة من الناس؛ لما ثبت في البخاري في صحيحه– رحمه الله– عن عائشة، وابن عمر– رضي الله تعالى عنهما– قالا: لم يُرخَّصْ في أيَّام التشريق أن يُصَمْنَ إلَّا لمن لم يجد الهدْي. هكذا رواه البخاري في الصحيح من حديث عائشة وابن عمر[(٢)].

ومعنى (لم يُرخَّصْ) يعني: لم يُرخِّص النبي ﷺ به، إذا قال الصحابي: لم يُرخَّص أو رخَّص أو أُمِرنا أو..، هذا المراد به النبي ﷺ، هكذا قال أهل العلم؛ لأنَّ الرسول هو الآمِر الناهي المرخِّص– عليه الصلاة والسلام–.

فمعنى: (لم يُرخَّص) يعني: أنَّ النبي ﷺ لم يُرخِّص لأحدٍ أن يصوم أيَّام التشريق إلَّا مَن عجز عن الهدْي؛ فله أن يصوم الثلاثة إذا لم يصمْها قبل الحج، إذا لم يصمْها قبل عرفة، فله أن يصومها هذه الأيَّام، وله أن يُؤخِّرَها[(٣)].

وفي النَّهيِ عن صِيامِ هذه الأيَّامِ والأمْرِ بالأكْلِ والشُّربِ سِرٌّ حَسَنٌ؛ وهو أنَّ اللهَ تعالَى لما عَلِمَ ما يُلاقي الوافِدونَ إلى بَيتِه مِن مَشاقِّ السَّفَرِ، وتَعَبِ الإحْرامِ، وجِهادِ النُّفوسِ على قَضاءِ المناسِكِ؛ شرَعَ لهمُ الاسْتراحةَ عَقِبَ ذلك بالإقامةِ بمِنًى يومَ النَّحرِ وثلاثةَ أيَّامٍ بعدَه، وأمَرَهُم بالأكْلِ فيها مِن لُحومِ الأضاحيِّ؛ فهُمْ في ضِيافةِ اللهِ تعالَى فيها، لُطْفًا مِنَ اللهِ تعالَى بهم ورَحمةً، وشارَكَهم أيضًا أهلُ الأمْصارِ في ذلك؛ لأنَّ أهلَ الأمْصارِ شارَكُوهم في النَّصَبِ للهِ تعالَى، والاجْتِهادِ في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ بالصَّومِ

---

(١) البقرة: ٢٠٠– ٢٠١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٣) برقم (١٩٩٧) كتاب الصوم. باب صيام أيَّام التشريق.

(٣) يُنظَر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٨/ ٧٣).



والذِّكرِ، والاجْتهادِ في العِباداتِ، وفي التَّقرُّبِ إلى اللهِ تعالَى بإراقةِ دِماءِ الأضاحِيِّ، وفي حُصولِ المغفِرةِ، فشارَكُوهم في أعْيادِهِم، واشتَرَكَ الجَميعُ في الرَّاحةِ بالأكْلِ والشُّربِ، فصارَ المسلِمونَ كلُّهم في ضِيافةِ اللهِ تعالَى في هذه الأيَّامِ؛ يأكُلون مِن رِزقِه، ويَشكُرونَه على فضْلِه، ولما كان الكريمُ لا يَليقُ به أنْ يُجيعَ أضْيافَه؛ نُهُوا عن صِيامِها.

والخلاصة كما قال بعضهم: أيَّام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيمُ أبدانِهم بالأكْل والشُّرْب، ونعيمُ قلوبهم بالذِّكْر والشُّكْر، وبذلك تتمُّ النعم.

فَكُلُوا وَاشرَبُوا، وَتَهادُوا وَتَصَدَّقُوا، وَتَوَاصَلُوا وَتَرَاحَمُوا، وَتَزَاوَرُوا وَتَسَامَحُوا، وَصِلُوا أَرحَامَكُم وَاحذَرُوا القَطِيعَةَ، وَاجعَلُوا أَيَّامَ عِيدِكُم أَيَّامَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنيَا أَو تُلهِيَنَّكُم أَو تُفَرِّقَنَّكُم؛ فَإِنَّمَا هِيَ دَارُ عُبُورٍ وَمُرُورٍ.



١٢ ذي الحجة

نعيم الجنَّة

الجنَّة لغة هي البستان، واصطلاحًا هي المكان الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين، وما شملت من أشكال النعيم واللذة، والفرح والسرور والطمأنينة، وهي الدار التي أعدَّها الله لأهل طاعته تكريمًا لهم؛ فمِن أجْلها تُترَك الملذَّات، وتُقاوَم شرور النفس ووساوسها.

ولها اسم واحد إذا ما قُصِد به ذاتها، وعدَّة أسماء إذا ما قُصِد به الصفات، ومن هذه الصفات: دار السلام، ودار الخُلد، ودار المقامة، وجنَّة المأوى، وكذلك جنَّات عدْن، والفردوس، وجنَّات النعيم، ومن أسمائها أيضًا المقام الأمين، ومقعد صدْقٍ.

ولا شكَّ أنَّ في الجنَّة فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، ممَّا لا يوجد مثله في الدنيا، فقد قال رسول الله ﷺ:" قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[(١)]" متفق عليه[(٢)].

وقد تواترت الأدلَّة على أنَّ الإنسان لا يتمنَّى شيئًا في الجنَّة إلَّا حقَّقه الله له، وأنَّه تعالى سيُعطيه فوق طموحاته وأمانيه، فقد قال تعالى: ﴿ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴾[(٣)]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[(٤)].

قال ابن كثير في تفسيره: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) من الملاذ؛ من مآكل، ومشارب، وملابس، ومساكن، ومراكب، ومناظر، وغير ذلك ممَّا لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلبِ أحدٍ[(٥)].

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٥) برقم (٤٧٧٩) كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِي لهم من قُرَّة أعين} السجدة: ١٧. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) الفرقان: ١٦.

(٤) فصلت: ٣١.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٨).



أمَّا سُكَّانُها فقد قال عنهم رسول الله ﷺ:" إنَّ أوَّل زمرةٍ يدخلون الجنَّة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكبٍ دُرّيٍّ في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة الأنجوج (عود الطيب)، وأزواجهم الحور العين، على خَلْقِ رجُلٍ واحدٍ، على صورة أبيهم آدم، ستُّون ذراعًا" رواه البخاري ومسلم(١).

وينادي منادٍ: إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٢)(٣).

وأمَّا مساكنُها فقد قال فيها رسول الله ﷺ:" لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتُربتُها الزعفران، مَن يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، ولا تُبلَى ثيابُهم، ولا يفنى شبابُهم" رواه الترمذي(٤).

وقال ﷺ أيضًا:" إنَّ في الجنة غرفًا يُرَى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناسُ نيامٌ" رواه أحمد والترمذي(٥).

وعن أسواقها يقول رسول الله ﷺ:" إنَّ في الجنة لَسُوقًا، يأتونها كلَّ جمعةٍ، فتهبُّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حُسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: واللهِ لقد ازددتُم بعدَنا حُسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم واللهِ لقد ازددتُم بعدَنا حُسنًا وجمالًا" رواه مسلم(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٢) برقم (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء. باب خلق آدم صلوات الله عليه وذرِّيَّته. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٩) برقم (٢٨٣٤) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب أوَّل زمرة تدخل الجنَّة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم.

(٢) الأعراف: ٤٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٢) برقم (٢٨٣٧) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب في دوام نعيم أهل الجنَّة، وقوله تعالى: {ونودوا أن تلكم الجنَّة أورثتموها بما كنتم تعملون} الأعراف: ٤٣.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٧١) برقم (٢٥٢٦) أبواب صفة الجنَّة. باب ما جاء في صفة الجنَّة ونعيمها. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٩٨).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥٣٩) برقم (٢٢٩٠٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٤) برقم (١٩٨٤) أبواب البر والصلة. باب ما جاء في قول المعروف. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٢٦).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٨) برقم (٢٨٣٣) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب في سوق الجنَّة وما ينالون فيها من النَّعيم والجمال.

أمَّا أنهارها وثمارها؛ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾(٢).

وليس في الجنَّة دنِيٌّ، بل كلُّهم في أعلى المنازل والدرجات؛ فقد سأل موسى ربَّه: ما أدنى أهل الجنَّةِ منزلةً؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعد ما أُدخِل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، فيُقال له: ادخلِ الجنَّة، فيقول: أي ربِّ، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخَذَاتِهم؟ فيُقال له: أترضى أن يكون لك مِثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رَضِيتُ ربِّ، فيقول: لكَ ذلكَ، ومِثله ومِثله ومِثله ومِثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك، ولذَّتْ عينُك، فيقول: رضيتُ ربِّ، قال: ربِّ؛ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيديَّ، وختمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطرْ على قلبِ بشرٍ، قال: ومصداقُه في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(٣)" رواه مسلم(٤).

والخلاصة: أنَّ على المسلم أن يعمل لجنَّةٍ عرضُها السموات والأرض، فلْيُشمِّرْ ولْيجتهدْ في العبادة والطاعة، يقول النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه:" ألَا هل مُشمِّرٌ للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خَطَرَ لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مَشِيد، ونهرٌ مُطرد، وفاكهة كثيرة نَضِيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحُلَلٌ كثيرة في مقامٍ أبدًا في حَبْرَةٍ ونَضْرَةٍ، في دارٍ عاليةٍ سليمةٍ بهيَّةٍ، قالوا: نحن المشمِّرون لها يا رسول الله، قال: قولوا: إن شاء الله، فقال القوم: إن شاء الله" رواه ابن ماجه(٥).

---

(١) الرعد: ٣٥.

(٢) محمد: ١٥.

(٣) السجدة: ١٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٦) برقم (١٨٩) كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٤٨) برقم (٤٣٣٢) كتاب الزهد. باب صفة الجنَّة. والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٧/ ٣٧٠).



اعمـلْ لـدارِ البقـا رضـوانُ خازنُهـا | والجـارُ أحمـدُ والـرحمنُ بانيهـا
أرضُـها ذَهَـبٌ والمِسـكُ طينتُهـا | والزعفـرانُ حشـيشٌ نابـتٌ فيهـا
أنهارُهـا لـبنٌ محـضٌ ومِـن عسـلٍ | والخمـرُ يجـري رحيقًـا في مجاريهـا
والطـيرُ تجـري علـى الأغصـانِ عاكفـةً | تُسـبِّحُ اللهَ جهـرًا في مغانيهـا
مَـن يشـتري الـدارَ بالفـردوسِ يعمُرُهـا | بركعـةٍ في ظـلامِ الليـلِ يُخفيهـا[1]

يقول الإمام ابنُ القيم- رحمه الله-: وكيفَ يَقْدرُ قدرَ دارٍ؛ غرسَها اللهُ بيده، وجعلَها مقرًّا لأحبابِه، وملأها من رحمتِه وكرامتِه ورضوانِه، ووصفَ نعيمَها بالفوزِ العظيمِ، ومُلْكَها بالمِلكِ الكبيرِ، وأودعَها جميعَ الخيرِ بحذافيرِه، وطهَّرها من كلِّ عيبٍ وآفةٍ ونقصٍ[2].

(١) يُنظَر: بستان الواعظين ورياض السامعين (ص ١٨٠). بستان الواعظين ورياض السامعين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقِّق: أيمن البحيري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٢٨٠). حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

١٣ ذي الحجة

رؤية الله تعالى في الآخرة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مجموع الفتاوى: فالرجاء وإن تَعَلَّقَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَالْجَنَّةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ نَعِيمٍ، وَأَعْلَاهُ النَّظَرُ إلَى وَجْهِ اللهِ. كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صهيب- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنْجِينَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إلَيْهِ، فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إلَيْهِ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(١)](٢)(٣).

وفي رواية:" أنَّ الله تعالى يقول لأهلِ الجنَّةِ: أحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبدًا"(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه-: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ" رواه البخاري(٥).

فرؤيةُ وجهِ اللهِ الكريمِ من أعظم نعيمِ أهلِ الجنَّةِ: وصدقَ اللهُ العظيمُ إذ يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾(٦).

وقد اختلف العلماء حول رؤية الله تعالى على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: مَن نَفَى الرؤية بإطلاقٍ، فلم يُثبتْها في الدنيا، ولا في الآخرة على حدٍّ سواء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: وإنَّما يُكذِّب بها أو يُحرِّفها- أي: أحاديث الرؤية في الآخرة-

---

(١) يونس: ٢٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه دون ذكر الآية (١/ ١٦٣) برقم (١٨١) كتاب الإيمان. باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سبحانه وتعالى.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥١) برقم (٧٥١٨) كتاب التوحيد. باب كلام الربِّ مع أهل الجنَّة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٦) برقم (٢٨٢٩) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب إحلال الرضوان على أهل الجنَّة فلا يسخط عليهم أبدًا.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٧) برقم (٦٥٧٣) كتاب الإيمان. باب الصراط جسر جهنَّم.

(٦) القيامة: ٢٢-٢٣.



الجهميَّة، ومَن تبِعهم مِن المعتزلة والرافضة ونحوهم، مِن الذين يُكذِّبون بصفات الله تعالى وبرؤيته، وغير ذلك، وهم المعطِّلة شرارُ الخَلْق والخليقة(١).

الطائفة الثانية: مَن يُثبت الرؤية بإطلاقٍ، فيزعم أنَّ الله يُرى في الدنيا عيانًا، كما يُرى في الآخرة عيانًا، وهذا يقول به بعض المتصوِّفة من الاتِّحاديَّة والحلوليَّة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: مَن قال مِن الناس: إنَّ الأولياءَ أو غيرَهم يرون الله بعينه في الدنيا فهو مبتدِعٌ ضالٌّ، مُخالِفٌ للكتاب والسُّنَّة، وإجماع سلف الأمَّة، لا سيَّما إذا ادَّعوا أنَّهم أفضل من موسى، فإنَّ هؤلاء يُستتابون، فإن تابوا وإلَّا قُتِلوا(٢).

الطائفة الثالثة: مَن نَفَى الرؤية العيانيَّة في الدنيا، وأثبتَها في الآخرة، وذلك في عرصات يوم القيامة، وفي الجنَّة، وهذا قول أهل السُّنَّة والجماعة. ونُقِلَ الإجماع على ذلك.

قال الإمام عبد الغني المقدسي- رحمه الله-: وأجمع أهل الحقِّ، واتَّفق أهل التوحيد والصدق؛ أنَّ الله تعالى يُرَى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصحَّ عن رسوله ﷺ(٣).

وقال الإمام ابن أبي العزِّ الحنفيِّ- رحمه الله-: وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السُّنَّة والجماعة(٤).

وقال الإمام النووي- رحمه الله-: قد تظاهرت أدلَّة الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة، فمَن بعدهم مِن سلف الأمَّة؛ على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين(٥).

لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: والذي عليه جمهور السلف أنَّ مَن جحد رؤية الله في الدار الآخرة؛ فهو كافرٌ، فإن كان ممَّن لم يبلغه العلم بذلك؛ عُرِّفَ ذلك كما يُعرَّف مَن لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصرَّ على الجحود بعد بلوغ العلم له؛ فهو كافرٌ(٦).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص ١٢٥). الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠ هـ)، المحقِّق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤) شرح الطحاوية- ط الأوقاف السعودية (ص ١٥٣). شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦).



فإن قيل: ورد أنَّ الربَّ يُكلِّم جميع عباده، يقول النبي ﷺ:" ما منكم أحدٌ إلَّا سيُكلِّمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلَّا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلَّا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلَّا النار تلقاء وجهه، فاتَّقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة" متفق عليه[١]. وغيره من الأحاديث الصحيحة التي تثبت كلام الله تعالى لغير المؤمنين. فهل معنى ذلك أنَّ غير المؤمن يرى الله سبحانه وتعالى؟ والجواب: بالطبع لا، فإنَّه لا يلزم من الكلام الرؤية، فالرؤية شيءٌ والكلام شيءٌ آخر، فهو عزَّ وجلَّ يُكلِّم جميع الخلْق، ولكنَّه لا يراه إلَّا المؤمنون.

قال أبو بكر الآجُري- رحمه الله-: إن قال قائل: فما تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[٢]، قيل له: معناها عند أهل العلم: أي: لا تحيط به الأبصار، ولا تحويه عزَّ وجلَّ، وهم يرونه من غير إدراك ولا يشكُّون في رؤيته؛ كما يقول الرجل: رأيتُ السماء، وهو صادق، ولم يُحِط بصرُه بكلِّ السماء، ولم يدركْها[٣].

وقال ابن حبان- رحمه الله-: يُرى في القيامة، ولا تُدركه الأبصار إذا رأتْه؛ لأنَّ الإدراك هو الإحاطة، والرؤية هي النظر، والله يُرى ولا يُدرَك كُنهُه[٤].

وقال أبو محمد البغوي- رحمه الله-: اعلَمْ أنَّ الإدراك غير الرؤية؛ لأنَّ الإدراك هو الوقوف على كُنهِ الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٨) برقم (٧٥١٢) كتاب التوحيد. باب كلام الربِّ عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٦) كتاب الزكاة. باب الحث على الصدقة ولو بشقِّ تمرة أو كلمة طيِّبة، وأنَّها حجابٌ من النَّار.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ١٠٤٨). الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقِّق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن- الرياض/ السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٤) صحيح ابن حبان (١/ ٢٥٩). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٥) تفسير البغوي (٢/ ١٤٨). معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، المؤلف: مُحيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقِّق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.



وختامًا؛ يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السُّنَّة والجماعة، مَن أنكرها كَفَرَ، يراه المؤمنون يوم القيامة، ويرونه في الجنَّة كما يشاء بإجماع أهل السُّنَّة؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢].

فسَّر النبيُّ ﷺ الزيادة بأنَّها النظر إلى وجه الله، وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة وفي الجنَّة، أمَّا في الدنيا؛ فلا يُرَى في الدنيا كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾[٣]، وقال لموسى: ﴿لَن تَرَانِي ﴾[٤].

وثبت عنه ﷺ أنَّه قال:" واعلموا أنَّه لن يرى أحدٌ ربَّه حتَّى يموت" رواه مسلم[٥]، فالدنيا ليست محلَّ الرؤية؛ لأنَّ الرؤية نعيم، رؤية الله أعلى نعيم أهل الجنَّة، وهذه الدار ليست دار النعيم، دار الأكدار ودار الأحزان ودار التكليف، فلا يُرى في الدنيا، لكنه يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون.

أمَّا الكُفَّار فهم عنه محجوبون، كما قال سبحانه:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٦]، فالكُفَّار محجوبون عن الله يوم القيامة، والمؤمنون يرونه في الآخرة[٧].

---

(١) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٢) يونس: ٢٦.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٤٥) برقم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب ذِكْر ابن صيَّاد.

(٦) المطفِّفين: ١٥.

(٧) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٤١٠).



١٤ ذي الحجة

إنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السَّيِّئاتِ

يقــول الله تعــالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(١).

قال العلَّامة ابن كثير- رحمه الله -: وقوله (إنَّ الحسناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ) يقول: إنَّ فِعْلَ الخيرات يُكفِّر الذنوب السالفة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: كنت إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدَّثني عنه أحدٌ استحلفتُه، فإذا حلف لي صدقتُه، وحدَّثني أبو بكر- وصدق أبو بكر- أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول:" ما من مسلمٍ يُذنب ذنبًا، فيتوضَّأ ويُصلِّي ركعتين؛ إلَّا غُفِرَ له" رواه أبو داود(٢).

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان: أنَّه توضَّأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: هكذا رأيتُ رسول الله يتوضَّأ، وقال:" مَن توضَّأ نحو وضوئي هذا، ثمَّ صلَّى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه؛ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه" رواه مسلم(٣).

وروى الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير، من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد: أنَّه سمع الحارث مولى عثمان يقول: جلس عثمان يومًا وجلسنا معه، فجاءه المؤذِّن فدعا عثمان بماء في إناء- أظنُّه سيكون فيه قدر مُدٍّ- فتوضَّأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضَّأ وضوئي هذا، ثم قال:" مَن توضَّأ وضوئي هذا، ثم قام فصلَّى صلاة الظهر؛ غُفِرَ له ما كان بينه وبين صلاة الصبح، ثم صلَّى العصر غُفِرَ له ما بينه وبين صلاة الظهر، ثم صلَّى المغرب غُفِرَ له ما بينه وبين صلاة العصر، ثم صلَّى العشاء

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٧٩) برقم (٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٨٦) برقم (١٥٢١) باب تفريع أبواب الوتر. باب في الاستغفار. والترمذي في جامعه (٢/ ٢٥٧) برقم (٤٠٦) أبواب الصلاة. باب ما جاء في الصلاة عند التوبة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٩) برقم (١٠١٧٥) كتاب عمل اليوم والليلة. ما يفعل مَن بُليَ بذنبٍ وما يقول. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٤٦) برقم (١٣٩٥) كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها. باب ما جاء في أنَّ الصلاة كفَّارة. والحديث حسَّنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣) برقم (١٥٩) كتاب الوضوء. باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٠٥) برقم (٢٢٦) كتاب الطهارة. باب صفة الوضوء وكماله.



غُفِرَ له ما بينه وبين صلاة المغرب، ثم لعلَّه يبيت يتمرَّغ ليلته، ثم إن قام فتوضَّأ وصلَّى الصبح؛ غُفِرَ له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهُنَّ الحسناتُ يُذهِبنَ السَّيِّئاتِ" رواه أحمد[١].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:" أرأيتُم لو أنَّ بباب أحدكم نهرًا غمرًا يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمس مرَّات، هل يُبقِي من درنه شيئًا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال:" وكذلك الصلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الذنوب والخطايا" متفق عليه[٢].

وقال مسلم في صحيحه: حدَّثنا أبو الطاهر وهارون بن سعيد قالا حدَّثنا ابن وهب، عن أبي صخر: أنَّ عمر بن إسحاق مولى زائدة حدَّثه عن أبيه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول:" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مُكفِّرات ما بينهنَّ إذا اجتُنِبَت الكبائر"[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، أنَّ أبا رهم السمعي كان يُحدِّث: أنَّ أبا أيوب الأنصاري حدَّثه أنَّ النبي ﷺ كان يقول:" إنَّ كلَّ صلاةٍ تحطُّ ما بين يديها من خطيئة" رواه أحمد[٤].

وروى البخاري عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[٥]. فقال الرجل: إليَّ هذا يا رسول الله؟ قال: لجميع أمَّتي كلِّهم[٦].

وفي رواية مسلم: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إنِّي وجدتُ امرأة في بستانٍ، ففعلتُ بها كلَّ شيءٍ؛ غير أنِّي لم أجامعْها، قبَّلتُها ولزمتُها، ولم أفعلْ غير ذلك، فافعلْ بي ما شئتَ. فلم يقلْ رسولُ الله ﷺ شيئًا، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه، لو ستر على نفسه.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٧) برقم (٥١٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٢) برقم (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة. باب الصلوات الخمس كفَّارة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٦٢) برقم (٦٦٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب المشي إلى الصلاة تُمحَى به الخطايا وتُرفَعُ به الدرجات.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣) كتاب الطهارة. باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهن ما اجتُنِبت الكبائر.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٨٩) برقم (٢٣٥٠٣). والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣٠).

(٥) هود: ١١٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١١) برقم (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة. باب الصلاة كفَّارة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٦) برقم (٢٧٦٣) كتاب التوبة. باب قوله تعالى: {إنَّ الحسناتِ يُذهِبنَ السَّيِّئات} هود: ١١٤.



فأتبعه رسول الله ﷺ بصره ثم قال: رُدُّوه عليَّ. فرَدُّوه عليه، فقرأ عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(١). فقال معاذ- وفي رواية عمر-: يا رسول الله؛ أَلَهُ وحده أم للناس كافَّة؟ فقال: بل للناس كافَّة(٢).

ويقول رسول الله ﷺ:" إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله يُعطي الدنيا مَن يُحبُّ ومَن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الدين إلَّا مَن أحبَّ. فمَن أعطاه الله الدِّين فقد أحبَّه، والذي نفسي بيده؛ لا يُسلِم عبدٌ حتَّى يُسلِمَ قلبُه ولسانُه، ولا يؤمن حتَّى يأمن جارُه بوائقَه. قال: قلنا: وما بوائقُه يا نبي الله؟ قال: غِشُّه وظُلمُه، ولا يكسب عبدٌ مالًا حرامًا فينفق منه فيُبارَك له فيه، ولا يتصدَّق فيُقبَل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلَّا كان زاده إلى النَّار، إنَّ الله لا يمحو السَّيِّئ بالسَّيِّئ، ولكنَّه يمحو السَّيِّئ بالحَسَن، إنَّ الخبيث لا يمحو الخبيث" رواه أحمد(٣)(٤).

وفي وصيَّته ﷺ للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، وفي رواية لمعاذ بن جبل- رضي الله عنهما- قال:" اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ" رواه أحمد والترمذي(٥).

ونقل النووي عن القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤتَ كبيرةٌ، وهو مذهب أهل السُّنَّة، وأنَّ الكبائر إنَّما تُكفِّرها التوبة، أو رحمة الله وفضْله(٦).

وقال في دليل الفالحين: ثم هذا في الصغائر المتعلِّقة بحقِّ الله تعالى، أمَّا الكبائر فلا يُكفِّرها على الصحيح إلَّا التوبة بشروطها، وأمَّا التبعات فلا يُكفِّرُها إلَّا إرضاءُ أصحابِها (٧).

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) اللفظ لأحمد في مسنده (٧/ ٣١٩) برقم (٤٢٩٠). والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٨/ ٢٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٩) برقم (٣٦٧٢).

(٤) يُنظَر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٥- ٣٥٧).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٨٤) برقم (٢١٣٥٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٥) برقم (١٩٨٧) أبواب البر والصلة. باب ما جاء في معاشرة الناس. والحديث حسَّنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٠٩).

(٦) شرح النووي على مسلم (٣/ ١١٢).

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢٣٢). دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.



وفي مسند الإمام أحمد: عن أبي عثمان قال: كنتُ مع سلمان الفارسي تحت شجرة، فأخذ منها غُصنًا يابسًا فهزَّه حتَّى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: يا أبا عثمان؛ ألا تسألُني لمَ أفعلُ هذا؟ فقلتُ: لمَ تفعلُه؟ قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة، فأخذ منها يابسًا فهزَّه حتَّى تحاتَّ ورقُه، فقال: يا سلمان؛ ألا تسألني: لمَ أفعلُ هذا؟ قلتُ: ولمَ تفعلُه؟ فقال: إنَّ المسلم إذا توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم صلَّى الصلوات الخمس؛ تحاتَّتْ خطاياه كما يتحاتُّ هذا الورق. وقال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1][2].

ونختم بوصيَّته ﷺ للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري- رضي الله عنه- الذي قال: قلتُ: يا رسول الله؛ أوصني. قال: إذا عملتَ سيئة فأتبعْها حسنةً تمحُها. قال: قلتُ: يا رسول الله؛ أمِنَ الحسناتِ: لا إله إلَّا الله؟ قال:" هي أفضلُ الحسناتِ" رواه أحمد[3].

وقال الحسن البصري- رحمه الله-: استعينوا على السَّيِّئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنَّكم لن تجدوا شيئًا أذهبَ بسيِّئةٍ قديمةٍ من حسنةٍ حديثةٍ، وأنا أجدُ تصديقَ ذلك في كتابِ الله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾[4][5].

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ١١١) برقم (٢٣٧٠٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٨٥) برقم (٢١٤٨٦). والحديث حسَّن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيءِ من فقهها وفوائدها (٣/ ٣٦١).

(٤) هود: ١١٤.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٢). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، المحقِّق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٥ ذي الحجة

الكعبة المُشرَّفة

يقـول الله تعـالى في كتابـه الكـريم: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾[١]. يقـول الإمـام البغـوي في تفسـيره: قولـه عـزَّ وجـلَّ: (جعـلَ اللهُ الكعبـةَ البيـتَ الحرامَ) قال مجاهد: سُمِّيَتْ كعبة لتربيعها، والعرب تُسمِّي كلَّ بيتٍ مُربَّعٍ كعبةً، قال مقاتل: سُمِّيَتْ كعبةً لانفرادها من البناء، وقيل: سُمِّيَتْ كعبةً لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسُمِّيَ الكعبُ كعبًا لنتوئه، وخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديُها: تكعَّبَتْ[٢].

ويقول الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار: جعل الله الكعبة المشرَّفة قيامًا للناس الذين يقيمون حولها، ويحجُّون إليها؛ فكانت سببًا لقيام مصالحهم ومنافعهم بإبداع تعظيمها في قلوبهم، وجذْب الأفئدة إليها، وصرْف الناس عن الاعتداء عليها وعلى مجاوريها وحُجَّاجها، وإعانتهم على توفير الأرزاق فيها، ويُؤيِّدُه دعاء إبراهيم- عليه السلام- لما حكاه الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[٣]، واستأنس- رحمه الله- بآيتَيْ سورة القصص وسورة العنكبوت. وهما: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٤]، ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾[٥][٦].

---

(١) المائدة: ٩٧.

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٩٠).

(٣) إبراهيم: ٣٧.

(٤) القصص: ٥٧.

(٥) العنكبوت: ٦٧.

(٦) يُنظَر: تفسير المنار (٧/ ٩٩). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.



وهي أوَّل بيت بُنِيَ لعبادة الله عزَّ وجلَّ في الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]، وهي قِبلة المسلمين، ومحطُّ أنظارهم، ومن أسماء الكعبة: البيت الحرام- البيت العتيق- الحرم- بكَّة- البيت المعمور.

ويبلغ ارتفاع الكعبة خمسةَ عشر مترًا تقريبًا، وفي ضلعها الشرقي يقع بابُها مُرتفعًا عن الأرض نحو مترين. أمَّا أركان الكعبة الأربعةُ فهي: الركن الأسود- وهو المشرَّف بالحَجَر الأسود-، والركن الشامي، والركن اليماني، والركن العراقي. وفي أعلى الجدار الشمالي يُوجَد الميزابُ المصنوعُ من الذهب الخالِص، والمطِلُّ على حِجْرِ إسماعيل- عليه السلام-.

وقيل: بناها أوَّلَ مرَّةٍ الملائكة قبل آدم، لكنَّها هُدمتْ بفعل طوفان نبي الله نوح- عليه السلام-. ثم قام إبراهيم مع إسماعيل- عليهما السلام- بإعادة بناء الكعبة[٢].

وتُفيد بعض الروايات التاريخية أنَّ الكعبة بُنيت عدة مرَّات عبر التاريخ؛ وفيما يلي أسماء البناة: الملائكة، وآدم وشيث بن آدم، وإبراهيم وإسماعيل، والعمالقة، وجرهم، وقصي بن كلاب، وقريش، وعبد الله بن الزبير، والحَجَّاج بن يوسف، والسلطان مراد الرابع[٣].

وكانت الكعبة موضع تعظيم وإجلال الناس والولاة على مكَّة، يُعمِّرونها ويُجدِّدون بنيانها عند الحاجة، ويكسونها، ويحتسبونه فخرًا وتشريفًا لهم، حتَّى جاء الإسلام فزاد في تشريفها، وحثَّ على تعظيمها وتطهيرها، وكساها النبي ﷺ والصحابة بعده.

وكانت قريش قد بنت الكعبة قبل بعثة النبي ﷺ، وتركتْ جزءًا من البيت تابعًا للحِجْر؛ لأنَّ النفقة قد قصرت بهم.

وكان النبي ﷺ يُحبُّ أن يُعيد بناءها على قواعد إبراهيم- عليه السلام، وأن يُدخِل الجزء الذي تركوه من الكعبة، وأن يجعل لها بابَينِ لاصِقَينِ بالأرض، كما في حديث عائشة- رضي

---

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) يُنظَر: العرف الشذي شرح سنن الترمذي (٢/ ٢٥٢). العرف الشذي شرح سنن الترمذي، المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، الناشر: دار التراث العربي- بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) يُنظَر: بهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ٥٢). بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، المؤلف: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (المتوفى: ٨٩٣ هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: بدون.



الله عنها-:" لولا أنَّ قومَكِ حديث عهدٍ بجاهليةٍ؛ لأمرتُ بالبيت فهُدِمَ، فأدخلتُ فيه ما أُخِرَج منه، وألزقتُه بالأرض، وجعلتُ له بابَينِ: بابًا شرقيًّا، وبابًا غربيًّا، فبلغتُ به أساس إبراهيم" رواه البخاري(١).

وفي سنة ٦٤هـ لما تولَّى حكم الحجاز عبد الله بن الزبير بن العوَّام- رضي الله عنهما-؛ بَنَى الكعبة المشرَّفة على ما أحبَّ النبيُّ ﷺ، مُشتملةً على ما تركتْه قريش، وجعل لها بابَينِ: بابًا يدخل منه الناس، وبابًا يخرجون منه.

وفي سنة ٧٤هـ في عهد عبد الملك بن مروان حاصر الحَجَّاج مكَّة المكرَّمة، وقتل عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما-، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يُخبره أنَّ ابن الزبير قد بنى البيت على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكَّة، يعني به قواعد إبراهيم عليه السلام، فأمره بأن يرُدَّ الكعبة على البناء الأوَّل الذي بنتْه قريش، فنقض البناء من جهة الحجر، وسدَّ الباب الذي فتحه ابن الزبير، وأعاده إلى بناء قريش(٢).

واتَّفقَ المؤرِّخون على أنَّ الكعبة المشرَّفة بقيتْ على بناء عبد الملك بن مروان لم تحتج إلى بناء جديد، ولم يُصبْها وهنٌ ولا خرابٌ في الجدران، وكلُّ ما احتاجتْ إليه إنَّما هو ترميمات وإصلاحات حتَّى عام ١٠٤٠هـ. وسبب ذلك أنَّه نزل بمكَّة في صباح يوم الأربعاء ١٩ شعبان سنة ١٠٣٩هـ مطرٌ غزيرٌ، واستمرَّ إلى آخر النهار، جرى منه سيلٌ كثيرٌ دخل المسجد الحرام والكعبة المشرَّفة، ووصل إلى نصف جدارها، وفي آخر النهار سقط الجدار الشامي من الكعبة، وبعض الجدارَيْنِ الشرقي والغربي، وسقطت درجة السطح، ولما تسرَّب الماء نُظِّفت الكعبة والمسجد الحرام من الطين ومُخلَّفات السيل، وكُتِبَ في ذلك إلى العلماء والأمراء، فاتَّفقَ الرأي على هدم ما بقي من الجدران، فأمر السلطان مراد الرابع بهدم ما بقي من جدران الكعبة لتداعيها، فشرع في الهدم وتلاه البناء والتعمير، وتمَّ الانتهاء من بنائها في ٢ ذي الحجة سنة ١٠٤٠هـ(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٧) برقم (١٥٨٦) كتاب الحج. باب فضْل مكة وبنيانها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧١) برقم (١٣٣٣) كتاب الحج. باب نقْض الكعبة وبنائها.

(٢) يُنظَر: تاريخ الإسلام (٢/ ٥٩٨). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقِّق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

(٣) يُنظَر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤/ ٤٣٣). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المؤلف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: ١١١١هـ)، المحقِّق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.



ولم تحتج الكعبة بعد ذلك إلى إعادة بناء، وإنَّما هي ترميمات وإصلاحات في أوقات مختلفة، حتَّى كان عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- رحمه الله- عندما لوحظ بعض التلف في بعض أجزاء الكعبة المشرَّفة المصنوعة من الخشب، وكان السقف أكثر تعرُّضًا للتلف من غيره وكذلك الأعمدة الخشبية، فخيف على الكعبة من هذا الضعف والتآكُل. فأمر- رحمه الله- بترميم الكعبة المشرَّفة ترميمًا كاملًا شاملًا من داخلها وخارجها على أحسن وجه، وبُدئ العمل في شهر محرم عام ١٤١٧هـ، وانتهي منه في نفس السنة في شهر جمادى الثاني، فآلتْ إلى أحسن حال بعد ترميمها[١].

(١) يُنظَر: الكعبة المعظَّمة والحرمان الشريفان (ص١٤٣). الكعبة المعظَّمة والحرمان الشريفان- عمارة وتاريخيًّا، المؤلف: عبيد الله محمد أمين كردي، طبع: مجموعة بن لادن السعودية.



١٦ ذي الحجة

حِجْر إسماعيل

تشير المصادر التاريخية إلى أنَّ حِجْر إسماعيل له خمسة أسماء شهيرة أوَّلها:

١- الحِجْر: وسُمِّي بهذا لأنَّه من الكعبة المشرَّفة، فهو حِجْر الكعبة وبه يُصَبُّ الميزاب، وهو الجزء المثبت على سطح الكعبة في الجهة الشمالية، لتصريف المياه المتجمِّعة على سطحها إلى الحِجْر عند سقوط الأمطار أو غَسْل السطح.

ويشهد لهذا الاسم ما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهِ ﷺ:" لقد رَأَيْتُنِي في الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عن مَسْرَايَ" رواه مسلم(١).

٢- جَدْر: ورد في صحيحَي البخاري ومسلم أنَّ عائشة بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- سألتْ رسول الله ﷺ عن الجَدْر: أَمِنَ البيت هو؟ قال: نعم(٢).

ورُوي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا قال له: أرأيتَ الحطيم؟ قال: لا حطيم، إنَّ أهل الجاهلية كانوا يُسمُّونه الحطيم، وإنَّما هو الجَدْر، كان أحدُهم إذا حلف جاء بمحجنه أو بسوطه فوضعه عليه، وإنَّما هو الجَدْر، فمَن طاف بالبيت فلْيطُفْ مِن ورائه(٣).

٣- حفرة إسماعيل: وأصل شهرة هذا الاسم أنَّ الحفرة كانت قبل رفْع قواعد الكعبة المشرَّفة وبنائها.

٤- الحطيم: وهو الموضع الموالي لميزاب الكعبة، وسُمِّي بهذا الاسم نسبة لانفصاله عن الكعبة وتحطُّمه، قال ابن الضياء: والمشهور عند الأصحاب- أي الأحناف- أنَّ الحطيم اسم للموضع الذي فيه الميزاب، وبينه وبين البيت فرجة، فسُمِّي هذا الموضع حطيمًا، لأنَّه محطوم من البيت- أي مكسور منه- فعيل بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول(٤).

وقال الأزرقي: فسُمِّي هذا الموضع الحطيم لأنَّ الناس كانوا يُحطِّمون هنالك بالأيمان، ويُستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقَلَّ مَن دعا هنالك على ظالمٍ إلَّا هلك، وقَلَّ مَن حلف هنالك إثمًا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٦) برقم (١٧٢) كتاب الإيمان. باب ذِكْر المسيح ابن مريم والمسيح الدَّجَّال.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٦) برقم (١٥٨٤) كتاب الحج. باب فضْل مكَّة وبنيانها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٣) برقم (١٣٣٣) كتاب الحج. باب جدر الكعبة وبابها.

(٣) ذكره الحربي في كتابه غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/ ٣٨٩). غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨- ٢٨٥هـ]، المحقِّق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٤) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٤/ ٣٩٢). الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، المؤلف: محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.



إلَّا عُجِّلت له العقوبة، فكان ذلك يحجز الناس عن الظلم، ويتهيَّب الناس الأيمان هنالك، فلم يزل ذلك كذلك حتَّى جاء الله بالإسلام، فأخَّر الله تعالى ذلك لما أراد إلى يوم القيامة(١).

ويشهد لهذا الاسم ما جاء عن مَالِكِ بن صَعْصَعَةَ- رضي الله عنهما- أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عن لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ قال: بَيْنَمَا أنا في الْحَطِيمِ- وَرُبَّمَا قال في الْحِجْرِ- مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ... إلخ. رواه البخاري(٢).

٥- حِجْر إسماعيل: وترجع هذه التسمية لما ورد تاريخيًّا بأنَّ إبراهيم جعله حِجْرًا، أي حضنًا لإسماعيل يأوي إليه هو وغنمه، وجعل فوقه عريشًا من شجر الأراك الذي تشتهر به أودية مكَّة.

وهو قطعة من الكعبة؛ لما عمَّرت قريش الكعبة قصرت بهم النفقة، فأخرجوا بعض البيت، وكانوا قد جمعوا أموالًا من أكساب طيِّبة، وأبعدت عن النفقة الأكساب الخبيثة، كمهر البغيِّ والرِّبا ونحو ذلك، فقصرتْ بهم النفقة؛ فأخرجوا الحِجْر، ومعظمه وأكثره من الكعبة من عند المنحنى، نحو سبعة أذرع، هذا من الكعبة.

يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: أمَّا قول بعض الناس: إنَّ فيه أمواتًا، وإنَّ إبراهيم مدفونٌ فيه، أو ما أشبهه، هذا كلُّه باطلٌ، ليس فيه أموات، لا إسماعيل ولا غيره، هذا مِن خُرافات الإسرائيليّين، وبعض كتب التاريخ التي لا تُبالي، فالحِجْر ليس فيه أموات، والمسجد ليس فيه أموات(٣).

وللحِجْر فضْل عظيم، فالصلاة فيه مُستحَبَّة؛ لأنَّه من البيت، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه دخل الكعبة عام الفتح وصلَّى فيها ركعتين، وقد روتْ عائشة- رضي الله عنها- رغبتها في دخول الكعبة فتقول:" كنتُ أُحبُّ أن أدخل البيت فأصلِّي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلَني في الحِجْر، فقال: صلِّي في الحجر إذا أردتِ دخول البيت؛ فإنَّما هو قطعة من البيت، فإنَّ قومكِ اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت"(٤).

---

(١) أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٢٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٥٢) برقم (٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار. باب المعراج.

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٧/ ٢٩٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٦٣) برقم (٢٤٦١٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٢١٤) برقم (٢٠٢٨) كتاب المناسك. باب الصلاة في الحِجْر. والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٦) برقم (٨٧٦) أبواب الحج. باب ما جاء في الصلاة في الحِجْر. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١١٥) برقم (٣٨٨١) كتاب المناسك. الصلاة في الحِجْر. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٢٨).

وكان عبد الله بن عبَّاس– رضي الله عنهما– يقول: صلُّوا في مُصلَّى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار. قيل: ما مُصلَّى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم[(١)]. والموضع الذي ذكر أنَّه تحت ميزاب الكعبة يقع داخل الحِجْر.

كما روي عن عثمان بن عفان– رضي الله عنه– أنَّه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألوني من أين جئتُ؟ قالوا: من أين جئتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ قائمًا على باب الجنَّة، وكان قائمًا تحت الميزاب يدعو الله عنده[(٢)].

أمَّا الفريضة فالأحوط عدم أدائها في الكعبة أو في الحِجْر، لأنَّ النبي ﷺ لم يفعل ذلك، ولأنَّ بعض أهل العلم قالوا: إنَّها لا تصحُّ في الكعبة، ولا في الحِجْر لأنَّه من البيت، قال ابن قدامة: لا تصحُّ الفريضة في الكعبة ولا على ظهرها، وجوَّزه الشافعي وأبو حنيفة لأنَّه مسجد، ولأنَّه محلٌّ لصلاة النفل فكان محلًّا للفرض كخارجها، ولنا قول الله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[(٣)]، والمصلِّي فيها أو على ظهرها غير مُستقبِلٍ لجهتها، والنافلة مبناها على التخفيف والمسامحة، بدليل صلاتها قاعدًا وإلى غير القبلة في السفر على الراحلة[(٤)].

أمَّا ركعتا الطواف فإنَّه يُستحَبُّ الإتيان بهما خلف مقام إبراهيم إن أمكن ذلك، ويصحُّ الإتيان بهما في أيِّ مكانٍ من الحرم حتى في الحِجْر عند الجمهور، قال ابن المنذر النيسابوري: أجمع العلماء على أنَّ ركعتَي الطواف تصحَّان حيث صلَّاهما؛ إلَّا مالكًا فإنَّه كره فِعْلهما في الحِجْر[(٥)].

ولذا أيضًا لا يجوز لطائفٍ بالبيت في حجٍّ أو عمرةٍ أو نفلٍ؛ أن يدخل من حِجْر إسماعيل ولا يُجزئه ذلك لو فَعَلَه، لأنَّ الطواف بالبيت، والحِجْر من البيت، لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ

---

(١) أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٣١٨).

(٢) يُنظَر: أخبار مكَّة للفاكهي (٢/ ٢٩٢). أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكِّي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقِّق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

(٣) البقرة: ١٤٤، ١٥٠.

(٤) المغني لابن قدامة (٢/ ٤٧٥).

(٥) يُنظَر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٣/ ٢٨٧). الإشراف على مذاهب العلماء، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩ هـ)، المحقِّق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكَّة الثقافية، رأس الخيمة– الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.



﴿ٱلۡعَتِيقِ﴾[(١)]، ولِمَا روتْه عائشة- رضي الله عنها- قالتْ: سألتُ رسول الله ﷺ عن الحِجْر قال: هو من البيت[(٢)]. وفي رواية قالتْ: إنِّي نذرتُ أن أصلِّي في البيت. قال: صلِّي في الحِجْر؛ فإنَّ الحِجْر من البيت[(٣)].

وعليه فلا يجوز بأيِّ حالٍ من الأحوال الطَّوافُ من داخل الحِجْرِ، ومَنْ فَعَلَ ذلك في أحد أشواط الطَّوافِ أو بعضِها؛ فعليه إعادتُها ليصِحَّ طوافه.

ويبدو من القراءات التاريخية أنَّ الحِجْر كان محلَّ اهتمامٍ من الخلفاء والملوك والأمراء، سواء كانوا على تهامة ومكَّة، أو على الدول العربية والإسلامية؛ ونذكر على سبيل المثال ما حدث في عهد أبي جعفر المنصور حيث إنَّ الحِجْر كانت حجارته بادية، وكان أبو جعفر يحجُّ فرآها، فقال: لا أُصبحَنَّ حتَّى يُستَر جدارُ الحِجْرِ بالرُّخام. فدعا العمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، وجدَّد رخامه الخليفة العباسي المهدي، وكان تبطين البلاط بالرُّخام عام ١٦١هـ، وكان رخامًا أبيض وأخضر وأحمر، وكان مُداخِلًا بعضه في بعض أحسن من هذا العمل، ثمَّ لما تكسَّر جدَّده أبو العباس عبد الله بن داود بن عيسى أميرُ مكَّة ٢٤١هـ، ثم جُدِّد بعد ذلك في خلافة المتوكِّل سنة ٢٨٣هـ[(٤)]، كما قام بتجديده وتعميره الخليفة الناصر العباسي سنة ٥٧٦هـ، وجُدِّد مرة أخرى في خلافة المستنصر العباسي سنة ٦٣١هـ، والملك المظفَّر صاحب اليمن سنة ٦٥٩هـ، والملك محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠هـ، والملك علي بن الأشرف شعبان سنة ٧٨١ هـ، والملك الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ، ثم جرت إصلاحات مختلفة فيه سنة ٨٢٢ هـ، والسلطان قايتباي سنة ٨٨٨هـ، وعمَّره الملك قانصوه الغوري ٩١٦هـ، والسلطان عبد المجيد خان ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م[(٥)].

---

(١) الحج: ٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٦) برقم (١٥٨٤) كتاب الحج. باب فضْل مكَّة وبنيانها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٣) برقم (١٣٣٣) كتاب الحج. باب جدر الكعبة وبابها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٦٣) برقم (٢٤٦١٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٢١٤) برقم (٢٠٢٨) كتاب المناسك. باب الصلاة في الحِجْر. والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٦) برقم (٨٧٦) أبواب الحج. باب ما جاء في الصلاة في الحِجْر. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١١٥) برقم (٣٨٨١) كتاب المناسك. الصلاة في الحِجْر. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٢٨).

(٤) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٣١٣).

(٥) يُنظَر: (٢/ ١٠٨). أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (وبعض القرون الماضية) المؤلف: محمد علي مغربي، الناشر (دار تهامة، دار البلاد) جدة، (مطبعة المدني) القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤- ١٤١٤هـ.



وفي عام ١٣٤٦هـ أمر الملك عبد العزيز بستة شمعدانات على جدار حِجْر إسماعيل من النحاس الأصفر، وكل واحد منها له ثلاثة رؤوس على كل رأس منها مصباح كهربائي واحد، ولا زالت فكرتها باقية إلى يومنا هذا، في صورة ثلاثة مصابيح مُوزَّعة على نصف الدائرة، الأوَّل عند الطرف المحاذي للركن الشمالي، والثاني عند الطرف المحاذي للركن الغربي، والثالث على رأس الحطيم(١).

---

(١) يُنظَر: تذكرة أولي النهى والعرفان (٣/ ٢٦٦). تذكرة أولي النهى والعرفان بأيَّام الله الواحد الديَّان وذكر حوادث الزمان، المؤلف: إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن «من علماء أهل القصيم»، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٧ ذي الحجة

مقام إبراهيم

المراد بالمقام إنَّما هو الحَجَرُ الذي كان إبراهيم- عليه السلام- يقوم عليه لبناء الكعبة. وقصَّة بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة المعظَّمة ووقوف إبراهيم- عليه السلام- على حَجَر المقام؛ رواها البخاري في صحيحه في حديث طويل عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: ثم قال: يا إسماعيل؛ إنَّ الله أمرني بأمرٍ، قال: فاصنعْ ما أمرك ربُّك. قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينُك. قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلى أكمَّة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتَّى إذا ارتفع البناء؛ جاء بهذا الحَجَر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١]. قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢][٣].

يقول أنس- رضي الله عنه- قال: رأيتُ المقام فيه أصابع إبراهيم وأخمص قدميه، غير أنَّه أذهبَه مسْحُ الناس بأيديهم[٤].

وقد ذكر الله تعالى المقام الكريم في كتابه العزيز في آيتين عظيمتين كريمتين: ذكره الله تعالى في آيةٍ بيّنةٍ من أعظم آيات حرم الله، كما أمر المؤمنين باتِّخاذه مُصلَّى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٥]. وقال تعالى في ثنائه وذِكْره للبيت والمقام: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٦].

يقول العلَّامة ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: إنَّ أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناس مباركًا وهدى للعالمين للذي ببكَّة، فيه علاماتٌ بيِّناتٌ من قدر الله، وآثار خليله إبراهيم، منهنَّ أثر قدم خليله النبي إبراهيم في الحَجَر الذي قام عليه[٧].

---

(١) البقرة: ١٢٧.

(٢) البقرة: ١٢٧

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٢) برقم (٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة.

(٤) يُنظَر: أخبار مكَّة للفاكهي (١/ ٤٥٠).

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) آل عمران: ٩٦-٩٧.

(٧) تفسير الطبري= جامع البيان (٦/ ٢٩).



وعن عبد الله بن عمرو بن العاص– رضي الله عنهما– قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا أنَّ الله طمس على نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب" رواه أحمد والترمذي(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال عمر– رضي الله عنهما–: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ، فقلتُ: يا رسول الله؛ لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى فنزلتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٢) رواه البخاري ومسلم(٣).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال: قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلَّى خلف المقام ركعتين، ثم خرج إلى الصفا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٤)(٥).

وروى مسلم في صحيحه عن جابر– رضي الله عنه– في صفة حجَّة النبي ﷺ: حتى إذا أتينا البيت معه ﷺ استلم الركن فرمل ثلاثًا، ومشى أربعًا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم– عليه السلام– فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٦). فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: " قل يا أيها الكافرون"، و" قل هو الله أحد"(٧).

لذلك يُشرَع بعد الطواف صلاة ركعتين خلف المقام، ولا يُشرَع مسْح المقام فضلًا عن تقبيله، وكان ابن الزبير– رضي الله عنهما– ينهى عن ذلك ويقول: إنَّكم لم تُؤمروا بالمسْح، وإنَّما أُمِرْتم بالصلاة(٨).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٧٧) برقم (٧٠٠٠). والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٨) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحجر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٣٦).

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٩) برقم (٤٠٢) كتاب الصلاة. باب ما جاء في القبلة، ومن لم يرَ الإعادة على مَن سها فصلَّى إلى غير القبلة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٥) برقم (٢٣٩٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

(٤) الأحزاب: ٢١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٥) كتاب الصلاة باب قول الله تعالى: {واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى} البقرة: ١٢٥. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٠٦) برقم (١٢٣٤) كتاب الحج. باب ما يلزم من أحرم بالحج، ثم قدم مكَّة من الطواف والسعي.

(٦) البقرة: ١٢٥.

(٧) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٨) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٩) برقم (٨٩٥٨). المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقِّق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي– الهند، يُطلَب من: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.



وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- إذا أراد أن يُصلِّي خلف المقام؛ جعل بينه وبين المقام صفًّا أو صفَّينِ أو رَجُلًا أو رَجُلَينِ(١).

وعن موضع مقام إبراهيم؛ فقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: إنَّ المقام كان زمان رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر- رضي الله عنه- مُلتصِقًا بالبيت، ثم أخَّره عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-(٢).

وذلك عندما جاء سيل في خلافة عمر- رضى الله عنه- فاحتمله، حتَّى وُجِدَ أسفل مكَّة فأُتِيَ به، فرُبِطَ إلى أستار الكعبة، حتَّى قدِم عمر- رضى الله عنه- فاستثبت في أمره حتَّى تحقَّق موضعه الأوَّل فأعاده إليه وبنى حوله.

وأوَّل مَن حلَّى المقام هو الخليفة المهدي العباسي؛ لما خشي عليه أن يتفتَّت؛ فهو من حَجَرٍ رخوٍ، فبعث بألف دينار، فضبَّبوا بها المقام من أسفله إلى أعلاه، وفي خلافة المتوكِّل زِيدَ في تحليته بالذهب، وجعل ذلك فوق الحلية الأولى، وذلك سنة ٢٣٦هـ(٣).

ولم تزل حلية المهدي على المقام حتَّى قلعت عنه في سنة ٢٥٦هـ؛ لأجل إصلاحه، فجُدِّد وصُبَّ عليه حتَّى يشتدَّ، وزِيدَ في الذهب والفضَّة على حليته الأولى، فعُمِلَ له طوقان من ذهب فيهما ٩٩٢ مثقال وطوق من فضَّة، وأُحضِر المقام إلى دار الإمارة، وأُذيبتْ له العقاقير بالزئبق، وشُدَّ بها شدًّا جيِّدًا حتَّى التصق، وكان قبل ذلك سبع قطع قد زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه في سنة ٢٥٥هـ لأجل إصلاحه. وكان الذي شدَّه بيده في هذه السنة بِشْرُ الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسي، وحمل المقام بعد اشتداده، وتركيب الحلية إلى موضعه وذلك ٢٥٦هـ(٤).

ومن المعلوم أنَّ هذا الحَجَر كان داخل مقصورة نُحاسية مُربَّعة الشكل، وعليها قُبَّة قائمة على أربعة أعمدة تحتلُّ مساحة كبيرة بجوار الكعبة، إلَّا أنَّ كثرة الحُجَّاج في السنوات الأخيرة أوجبت توسعة المطاف بعد أن ضاق بالطائفين، فكان وجود القُبَّة عائقًا لهذه التوسعة. ودارت مناقشات بين علماء المسلمين حول جواز نقل المقام من موضعه، واختلفت الآراء بين القول بالجواز أو عدمه(٥).

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٩) برقم (٨٩٦٠).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٦٣). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٣) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٣٦).

(٤) يُنظَر: أخبار مكَّة للفاكهي (١/ ٤٧٦).

(٥) يُنظَر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٢٧٢). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكِّي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.



وانتهى الأمر إلى قرارٍ مِن رابطة العالم الإسلامي في جلسة الرابطة المنعقِدة بتاريخ ٢٥ من ذي الحجَّة ١٣٨٤هـ بإزالة جميع الزوائد الموجودة حول المقام، وإبقاء المقام في مكانه على أن يُجعَل عليه صندوق من البلوري السميك القوي على قدر الحاجة وبارتفاع مناسب يمنع تعثُّر الطائفين ويتسنَّى معه رؤية المقام.



١٨ ذي الحجة

معالم مكَّة (المشاعر، طوى، الجعرانة، التنعيم ..)

المشاعر المقدَّسة هي أماكنُ جغرافية تقع في محيط مكَّة المكرَّمة، وَرَدَ ذِكْرُها صراحةً أو الإشارة إليها في القرآن الكريم، وهي: مِنى، وعرفات، ومزدلفة. ويأتي إليها المسلمون الذين يريدون تأدية فريضة الحجّ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام. يرتبط كلُّ مشعرٍ بعدد من المناسك والأعمال التي يُؤمر بها الحُجَّاج، والتي تبدأ في اليوم الثامن من شهر ذي الحجَّة، وفيه يتَّجه الحجيج إلى منى لقضاء يوم التروية، ثم ينفرون (يُسرعون) إلى عرفة لقضاء يوم عرفة، ثم يعودون إلى منى مرورًا بمزدلفة لقضاء أيَّام التشريق.

وتعود تسمية المشاعر المقدَّسة إلى اعتياد العرب تسمية المواقع بصفة جزءٍ منها، أو بفعل أمر بها، أو لحادثة حدثت فيها؛ ولم تخرج أسماء المشاعر عن ذلك.

فالمشاعر هي: المعالم، ومواضع النُّسُك. ومنها قولك: شعرت بالشيء، أي علمته، وأغلب الظنِّ أنَّ أسماء المشاعر عُرِفتْ منذ ذلك الوقت؛ وكلُّ ما ورد في أسباب أسمائها المتعدِّدة وتعليلها؛ إنَّما هي أقوالٌ تناقلها الخلف عن السلف؛ لذا يصعب الركون إلى إفراد سبب دون الآخر. فمشاعر الحج إذا ذُكِرت فالمقصود بها عرفات ومزدلفة ومنى.

وقد ذُكِرَ عَرفات ومزدلفة في القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١]، والمشعر الحرام هو مزدلفة.

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أي: اذكروه بالدعاء والتلبية عند المشعر الحرام، ويُسمَّى جمعًا لأنَّه يجمع ثَمَّ المغرب والعشاء، قاله قتادة، وقيل: لاجتماع آدم فيه مع حواء، وازدلف إليها، أي دنا منها، وبه سُمِّيَت المزدلفة. ويجوز أن يُقال: سُمِّيَتْ بفعل أهلها؛ لأنَّهم يزدلفون إلى الله، أي يتقرَّبون بالوقوف فيها. وسُمِّي مشعرًا من الشعار وهو العلامة؛ لأنَّه مَعلَمٌ للحجِّ والصلاة والمبيت به، والدعاء عنده من شعائر الحج، ووُصِفَ بالحرام لحرمته[٢].

---

(١) البقرة: ١٩٨.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٤٢١).



وتقع المزدلفة بالقرب من مكَّة جنوب شرق منى، وبين منى وجبل عرفة، وهي ذات أهمِّيَّةٍ بالنسبة إلى المسلمين أثناء تأديتهم لفريضة الحج؛ فهي ثالث المشاعر المقدَّسة التي يمرُّ بها الحجيج خلال رحلتهم الإيمانيَّة المقدَّسة؛ حيث يبدأ الحجيج في المشعر الأوَّل مكَّة بالطواف حول الكعبة، ثم مرورًا بالمشعر الثاني وهو الوقوف بعرفة، وبعد أداء المناسك المفروضة خلالهما، ثم بعد الإفاضة من عرفات؛ ينزلون إلى المزدلفة للمبيت وأداء بعض المناسك والفرائض على هدْي النبي ﷺ.

وفي الصحيح عن جابر- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ صلَّى الفجر بالمزدلفة، ثم ركب القصواء حتَّى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه، وكبَّره، وهلَّله، ووحَّده، فلم يزل واقفًا حتَّى أسفر جِدًّا، فدفع قبل أن تطلع الشمس. رواه مسلم(١).

وثبت عن بعض العلماء أنَّ مزدلفة كلَّها تُسمَّى المشعر الحرام.

قال الشيخ محمد بن عثيمين- رحمه الله-: وعلى هذا يكون المشعر الحرام؛ تارة يُراد به المكان المعيَّن الذي وقف عنده النبي ﷺ، وهو الجبل المعروف في المزدلفة وعليه بُنِي المسجد؛ وأحيانًا يُراد به جميع المزدلفة؛ لأنَّها مشعر حرام. وإنَّما قُيِّدَتْ بالمشعر الحرام؛ لأنَّ هناك مشعرًا حلالًا، وهو عرفة، فإنَّه مشعر، بل هو أعظم المشاعر المكانية، فهو مشعر لكنَّه حلال؛ لأنَّه خارج أميال الحرم، بخلاف المشعر الحرام الذي بمزدلفة الذي يقف الناس فيه، فإنَّه حرام. ولم تُسمَّ منىً مشعرًا حرامًا؛ لأنَّه ليس بها وقوفٌ مُستقِلٌّ(٢).

أمَّا طوى فوادٍ من أودية مكَّة، وهو أحد أودية مكَّة الثلاثة التي يتكوَّن اليوم منها عمرانها. المعروف اليوم بـ "بئر طوى" بجرول بين القُبَّة وريع أبي لهب، وهي بئر مطويَّة عليها بناء، يزورها الحُجَّاج المغاربة. وبئر طوى قد بات به النبي ﷺ حتَّى أصبح واغتسل من ماء بئره، وصلَّى ثم دخل مكَّة؛ رواه البخاري(٣). والبئر ما زالت موجودة بجرول إلى يومنا هذا. وموضع البئر هو المكان الذي بات فيه رسول الله ﷺ ليلة فتح مكَّة، وذلك بإجماع مُؤرِّخي مكَّة، وكُتَّاب السيرة الشريفة.

فلمَّا أصبح أخذ ذات اليسار على طول الوادي وأمر خالدًا أن يأخذ ذات اليمين من عند المكان المعروف اليوم بالقُبَّة، فيأخذ (كُدىً) بالقصر، فيأتي مكَّة من أسفلها.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٢) يُنظَر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٣/ ٨٧). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن- دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٩) برقم (١٥٥٣) كتاب الحج. باب الإهلال مُستقبِل القبلة.



والجِعْرَانة: بكسر أوَّله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتَّفق اللغويون على ضبطها. وأهل مكَّة اليوم ينطقونها بضم الجيم. ويقع وادي الجِعرانة إلى الشمال الشرقي من مكَّة المكرَّمة، وينتهي إلى وادي سرق. والجِعرانة اليوم قرية صغيرة في صدر وادي صف، فيها مسجد يعتمر منه أهل مكَّة المكرَّمة، ولها مركز إمارة، وتربطها بمكَّة طريق مُعبَّدة، وفيها زراعة قليلة. وماؤها يُضرَب به المثل في عذوبته. وكان النبي ﷺ قد اعتمر منها بعد غزوة الطائف. خرج منها ليلًا وعاد من ليلته[١]. والراجح أنَّ عمرته ﷺ من الجعرانة كانت ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح.

وروى الأزرقي أنَّ رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة عمرة الجعرانة، والرابعة عمرة حجَّته. ثم ذكَر أنَّ رجلًا من قريش بنى مسجدًا هناك، غير أنَّه ذكَر أنَّ رسول الله ﷺ كان بالعُدوة القُصوى، بينما المسجد اليوم في العُدوة الدُّنيا، ولا زال معمورًا يعتمر منه أهل مكَّة[٢].

والتَّنْعِيم: وادٍ ينحدر شمالًا بين جبال بشم شرقًا وجبل الشَّهيد جنوبًا فيصبُّ في وادي ياج، وهو ميقاتٌ لمن أراد العمرة من المكِّيِّين، وتُسمَّى عمرته: عمرة التنعيم، أي مكان الاعتمار، وذلك تمييزًا لها عن عمرة الجعرانة، وكان يُسمَّى نعمان، قال الشاعر:

فلَمْ ترَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُه	خرجنَ منَ التنعيمِ مُعتَمِراتِ
مررنَ بفخٍ ثُمَّ رُحنَ عشيةً	يُلبِّينَ للرحمنِ مُؤتَجِراتِ
فأصبحَ ما بينَ الأراكِ وحذوه	إلى الجزعِ جزعِ النَّخلِ والعمراتِ
له أرَجٌ بالعنبرِ الغضِّ فاغِمٌ	تطلَّع ريَّاه منَ الكفراتِ
تضوعُ مِسكًا بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ	به زينب في نسوةٍ عَطِرَاتِ[٣]

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجَّة الوداع، فأهللنا بعمرة، ثم قال رسول الله ﷺ: مَن كان معه هدْي فلْيهللْ بالحجِّ مع العمرة، ثم لا يحلَّ حتَّى يحلَّ منهما جميعًا، قالت: فقدمتُ مكَّة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوتُ ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣) برقم (١٧٧٨) أبواب العمرة. باب: كم اعتمر النبي ﷺ؟ ومسلم في صحيحه (٢/ ٩١٦) برقم (١٢٥٣) كتاب الحج. باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهنَّ.

(٢) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٢٠٧).

(٣) يُنظَر: زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٢١٥). زهر الآداب وثمر الألباب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت.



لرسول الله ﷺ فقال: انقضي رأسكِ وامتشطي وأهِلّي بالحجِّ ودعي العمرة، فقالت: ففعلتُ، فلمَّا قضينا الحجَّ أرسلني رسول الله ﷺ إلى التنعيم فاعتمرتُ، فقال: هذا مكان عُمرتِكِ. رواه مسلم[1].

وقد ثبت أنَّ رسول الله ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يعمر عائشة أخته- رضي الله عنهم- من التنعيم، ومن ذلك اليوم اتَّخذه أهل مكَّة عمرة، وهو أقرب الحلِّ إلى المسجد الحرام؛ فهو يقع على قرابة ستة أميال شمالًا من المسجد الحرام على طريق المدينة.

ويُسمَّى مسجد التنعيم أو مسجد السيدة عائشة- رضي الله عنها-.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٠) برقم (١٥٥٦) كتاب الحج. باب كيف تهل الحائض والنفساء؟، ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٧٠) برقم (١٢١١) كتاب الحج. باب بيان وجوه الإحرام، وأنَّه يجوز إفراد الحج والتمتُّع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتَّى يحلُّ القارن من نُسُكه.



١٩ ذي الحجة

غزوة الخندق

غزوة الخندق[١] تُسمَّى بهذا الاسم لأنَّ النبي ﷺ حفر خندقًا حول المدينة، وأشار إليه بهذا سلمان الفارسي- رضي الله عنه-، ويُقال لها أيضًا غزوة الأحزاب؛ لأنَّ قريشًا جمعت أحزابًا كثيرةً: غطفان وغير غطفان، والأحابيش وغيرهم، جمعوا حتَّى قال أصحابُ السِّيَر: إنَّهم نحو عشرة آلاف، كلُّهم قصدوا المدينة للقضاء على النبي ﷺ بزعمهم وأصحابه، ولكنَّ الله خيَّبهم وردَّهم خائبين، وأنزل عليهم جنودًا لم يروها من الملائكة، وأنزل عليهم ريحًا، وكانت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة.

وسببها أنَّ عشرين رجلًا من زعماء اليهود وسادات بني النضير أتوا إلى قريش بمكَّة يُحرِّضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش.

ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشًا فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك، فاستجاب له مَن استجاب، وهكذا نجح ساسة اليهود وقاداتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمسلمين.

وعلى أثر ذلك خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة- وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت من الشرق قبائل غطفان- بنو فزارة يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعر بن رحيلة، كما خرجت بنو أسد وغيرها، واتَّجهت هذه الأحزاب وتحرَّكت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه، وبعد أيَّام تجمَّع حول المدينة جيش عرمرم بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، فسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري مع أصحابه تناولوا فيه خطَّة الدفاع عن المدينة، وبعد مناقشات جرتْ بينهم اتفقوا على قرار قدَّمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي- رضي الله عنه- قال سلمان: يا رسول الله؛ إنَّا كُنَّا بأرض فارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطَّة حكيمة لم تعرفها العرب قبل ذلك، فأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ الخطَّة.

فأمر ﷺ بحفر الخندق من جهة الشمال، وهي عورة المدينة لا يستطيع المهاجمون نفاذًا إلى المدينة إلَّا منها، وذلك لأنَّ المدينة كانت مُشبَّكةً بالبنيان، ومُحاطة بالحُرَّات وبساتين النخل من كلِّ

---

(١) يُنظَر لهذه الغزوة: سيرة ابن هشام. ت السقا (٢/ ٢١٤) وما بعدها؛ ومرويات غزوة الخندق (ص ٤٥). مرويات غزوة الخندق، المؤلف: إبراهيم بن محمد المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولي، ١٤٢٤هـ.



جانبٍ سوى الشمال، فاتَّخذ الخندق في هذه الناحية. وشرعوا في حفر الخندق الذي يمتدُّ طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرةٍ من المسلمين حفْرُ أربعين ذراعًا، وعمِلَ المسلمون في الحفر على عجل، يبادرون قدوم القوم، وقد تراوحت مدَّة الحفر ما بين ستَّة أيَّام وأربعة وعشرين يومًا، وعند الواقدي: أربعًا وعشرين ليلة، وقال بعضهم: خمسة عشر يومًا.

وقد شارك النبي ﷺ بنفسه في حفر الخندق، عن سهل بن سعد- رضي الله عنه- قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةْ. رواه البخاري[1].

وروى البخاري أيضًا عن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا[2]، وكان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يُقاسون من شدَّة البرد والجوع ما يُفتِّتُ الأكباد، كما قال أنس بن مالك- رضي الله عنه-: كان أهل الخندق يُؤتَون بملء كفَّي من الشعير، فيُصنَعُ لهم بإهالةٍ سنخةٍ (الإهالة: الدهن، وسنخة: أي تغيَّرت من طول بقائها)، تُوضَع بين يدي القوم والقوم جياع، وهي بشعة في الحلْق ولها ريحٌ مُنتِنٌ. رواه البخاري[3].

وأثناء هذه الأحداث وقعتْ آياتٌ من أعلام النبوة، فقد رأى جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- في النبي ﷺ خمصًا شديدًا فذبح بهيمة، وطحنتِ امرأتُه صاعًا من شعير، ثم التمس من رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٤) برقم (٣٧٩٧) كتاب مناقب الأنصار. باب دعاء النبي ﷺ: «أصلح الأنصار والمهاجرة». ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٣١) برقم (١٨٠٤) كتاب الجهاد والسير. باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٠) برقم (٤١٠٦) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٣٠) برقم (١٨٠٣) كتاب الجهاد والسير. باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٨) برقم (٤١٠٠) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.



سرًّا أن يأتيَ في نفرٍ من أصحابه، فقام النبي ﷺ بجميع أهل الخندق، وهم ألفٌ، فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا، وبقيتْ برمة اللحم تغطُّ به كما هي، وبقي العجين كما هو. رواه البخاري ومسلم(١).

وأعظم من ذلك ما رواه البخاري عن جابر- رضي الله عنه- أيضًا قال: إنَّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضتْ في الخندق، فقال: أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ (والمعنى صار رملًا يسيل ولا يتماسك) أَوْ أَهْيَمَ، وفي رواية: فكانتْ مِنّي التفاتة، فإذا رسول الله ﷺ قد شدّ على بطنه حَجَرًا. رواه البخاري ومسلم(٢).

وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْفُرَ الْخَنْدَقَ؛ عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْجَبَلِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ، لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ. ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا. رواه أحمد(٣).

واستخلف النبي ﷺ على المدينة ابن أمِّ مكتوم- رضي الله عنه-.

ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة؛ وجدوا خندقًا عريضًا يحول بينهم وبينها، فالتجأوا إلى فرْض الحصار على المسلمين، بينما لم يكونوا مُستعِدّين له حين خرجوا من ديارهم. إذ كانت هذه الخطَّة كما قالوا مكيدة ما عرفتْها العرب، فلم يكونوا قد أدخلوها في حسابهم أصلًا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٨) برقم (٤١٠٢) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٠) برقم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة. باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار مَن يثق برضاه بذلك، وبتحقُّقه تحقُّقًا تامًّا، واستحباب الاجتماع على الطعام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٨) برقم (٤١٠١) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٠) برقم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة. باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار مَن يثق برضاه بذلك، وبتحقُّقه تحقُّقًا تامًّا، واستحباب الاجتماع على الطعام.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٦٢٥) برقم (١٨٦٩٤).



وقد قال تعالى حكاية عن الأحزاب وشعور المؤمنين ساعتها: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾(١)، وقال تعالى حكاية عن المنافقين وضعفاء النفوس الذين تزعزعتْ قلوبهم لرؤية هذا الجيش: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾(٢)، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، وكان شعارهم: (حم لَا يُنْصَرُونَ).

وكرِه فوارس من قريش أن يقفوا حول الخندق مكتوفي الأيدي، فاقتحموا الخندق، منهم عمرو بن وُدٍّ، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضراب بن الخطَّاب وغيرهم، وذكروا أنَّ عليًّا بارز عمر وقتله، وأنَّ الزبير قتل نوفل المخزومي، وأنَّ الباقين فرُّوا إلى معسكرهم.

وانشغل رسول الله ﷺ حتى فاتته بعض الصلوات، فجعل يسبُّ كُفَّار قريش ويدعو عليهم، فقال ﷺ: " مَلأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ" رواه البخاري(٣).

ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال:" اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ؛ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ" رواه البخاري ومسلم(٤).

وقد استجاب الله تعالى لدعوة رسوله ﷺ، فدبَّت الفُرقة في صفوف المشركين، وسرى بينهم التخاذل، وأرسل الله عليهم جندًا من الريح فجعلت تُقوِّض خيامهم، ولا تدع لهم قدرًا إلَّا كفأتْها، ولا طُنُبًا (وهي الحبال التي تُشدُّ بها الخيمة) إلَّا قلعتْه، ولا يقرُّ لهم قرار، حتَّى إنَّ الرجل منهم لم يكد يهتدي إلى رحله. روى البخاري ومسلم عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النبي ﷺ قال: نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ(٥).

---

(١) الأحزاب: ٢٢.

(٢) الأحزاب: ١٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٠) برقم (٤١١١) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٦) برقم (٦٢٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب التغليظ في تفويت صلاة العصر.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١١) برقم (٤١١٥) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٦٣) برقم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير. باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٩) برقم (٤١٠٥) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١٧) برقم (٩٠٠) كتاب صلاة الاستسقاء. باب في ريح الصبا والدبور.



وأرسل الله جُندًا من الملائكة يزلزلونهم ويُلقون في قلوبهم الرعب والخوف، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1].

وأقام المشركون مُحاصِرين رسولَ الله ﷺ والمسلمين في شتاء بارد أربعًا وعشرين ليلة، وكانت بداية الحصار في شوَّال ونهايته في ذي القعدة، وكان انصرافهم يوم الأربعاء لسبع ليالٍ بقين من ذي القعدة، فلمَّا أصبح رسول الله ﷺ والمسلمون وقد فتح الله تعالى لهم، وأقرَّ أعينهم بجلاء الأحزاب؛ قال ﷺ:" الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ" رواه البخاري[2].

---

(١) الأحزاب: ٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٠) برقم (٤١١٠)كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.



٢٠ ذي الحجة

فتحُ مكَّة

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[١].

وقعت غزوة فتح مكَّة[٢] في السنة الثامنة من الهجرة، وكان سببُها نقض قريش العهد الذي بينها وبين رسول الله ﷺ في الحُديبية، وذلك أنَّ بني بكر كانت قد دخلت في حلف قريش، وبني خزاعة قد دخلت في حلف النبي ﷺ، فقاتلت بنو بكر خزاعة وقتلوهم حتى ألجأوهم إلى الحرم وقتلوهم فيه، وعاونتها قريش بالسلاح والرجال خفية، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي على النبي ﷺ يناشده النصر بما بينهم من حِلْفٍ وإسلامٍ، ذاكرًا ما فعلتْه بنو بكر وقريش بهم.

فقال رسول الله ﷺ: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم، فما برح حتَّى مرَّت عنانة من السماء فرعدت، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ هذه السحابة لَتستهلُّ بنصر بني كعب.

وعلى إثر ذلك أرسل النبي ﷺ إلى قريش يُخيِّرُها بين ثلاثٍ: إمَّا أن يدوا القتلى من خزاعة (أي يدفعوا دية القتلي)، أو يتبرَّأوا من حِلْفِ بني نفاثة، أو أن ينبذ إليهم على سواءٍ، فاختارت قريش خيار الحرب.

فخرج رسول الله ﷺ ومعه الصحابة وهم صائمون في رمضان، فلمَّا اقتربوا من مكَّة أمرهم بالإفطار ليتقوَّوا عند القتال. عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا، وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا. رواه مسلم[٣].

لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا؛ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ،

---

(١) الفتح ٢٧.

(٢) يُنظَر لهذه الغزوة: مغازي الواقدي (٢/ ٧٨٠) وما بعدها؛ سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩) وما بعدها. المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٩) برقم (١١٢٠) كتاب الصيام. باب أجر المفطر في السفر إذا تولَّى العمل.



فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المسْلِمِينَ. فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ القَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَان. رواه البخاري(١).

فَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى راياتها، فكلَّما مرَّت راية، قَالَ: مَنْ هذه؟ فأقول (الراوي العبَّاس بن عبد المطَّلب- رضي الله عنه- عمُّ النبي ﷺ): بني سُلَيْمٍ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِبَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ أُخْرَى، فَيَقُولُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ كَتِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَضْرَاءُ، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الحَدَق، قال: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْيَوْمَ لَعَظِيمٌ، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قَالَ: فنعم إذًا، فقلتُ: النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَاهُمْ بِمَكَّةَ، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ هَذَا مُحَمَّدٌ، قَدْ أَتَاكُمْ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِه، ثم قال: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ، وَمَا يُغني عَنَّا دَارُكَ، قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ (٢).

وفي ٢٠ رمضان ٨ هـ، الموافق ١١ يناير ٦٣٠م، دخل رسول الله ﷺ مكَّة فاتحًا في جيش قوامه ١٠ آلاف رجُلٍ، حيث ميمنة الجيش بقيادة خالد بن الوليد من ناحية الجنوب، والميسرة بقيادة الزبير بن العوَّام من ناحية الشمال، بينما كان المهاجرون بقيادة أبي عبيدة بن الجرَّاح من ناحية الشمال الغربي، والأنصار بقيادة سعد بن عبادة من ناحية الغرب. وقاد عكرمة بن أبي جهل ٣٠٠٠ رجلٍ من المشركين، فكانت المقاومة ضعيفة، حيث بلغ عدد شهداء المسلمين ثلاثة من الفرسان، في حين قُتِلَ من المشركين اثنا عشر رجلًا، حتَّى قال أبو سفيان عن ذلك: أُبيحتْ خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم.

ودخل رسول الله ﷺ متواضعًا؛ فدخل مكَّة وهو يركب ناقته، ويقرأ سورة الفتح، وكان يُطأطئ رأسه حتَّى لتكاد تمسُّ رحلَه شُكرًا لربّه تعالى، ولما جاء على باب الكعبة قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم أقبل إلى الحَجَر الأسود واستلمه، ثم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٤٦) برقم (٤٢٨٠) كتاب المغازي. باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟

(٢) يُنظَر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩) وما بعدها.



عمد إلى تطهير صحن الكعبة من الأصنام (قيل: ٣٦٠ صنمًا)، فجعل يطعنها بقوسٍ في يده، ويكسرها، وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١)، ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(٢)، والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم طاف بالبيت. ودخل الكعبة، وصلَّى بها، ثم خرج وقريش صفوفٌ ينتظرون ما يصنع، فقال: يا معشر قريش؛ ما ترون أنِّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإنِّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوانه: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء. وأمر بلال بن رباح أن يصعد الكعبة فيُؤذِّن. وفي اليوم الثاني خطب رسول الله ﷺ في الناس، وفيها: إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلا يُخْتَلَى خَلَاهُ(٣).

ثم بايع الرِّجال والنِّساء من أهل مكَّة على السمع والطاعة، وأقام بمكَّة تسعة عشر يومًا.

ورغم أنَّها معركة وحرب؛ إلَّا أنَّ الإسلام حثَّ على الحفاظ على الدماء وعلى عَظَمَةِ وحُرْمة المكان الذي وقع فيه القتال وهو الحرم المكِّي، فكان هذا حافزًا إلى كفِّ المسلمين لسيوفهم ما أمكنهم ذلك. ولهذا لما قال سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ- رضي الله عنه-: يَا أَبَا سُفْيَانَ؛ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ، فَلَمَّا علم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بذلك قَالَ: كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ. رواه البخاري(٤).

وكان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة قبل أن يُسلِم، فأراد العبَّاس- رضي الله عنه- أن يكون المفتاح له مع السقاية، لكنَّ الرسولَ ﷺ دفعه إلى عثمان بعد أن خرج من الكعبة، وردَّه إليه قائلًا: اليوم يوم برٍّ ووفاءٍ، وكان الرسولُ ﷺ قد طلب من عثمان بن طلحة المفتاحَ قبل أن يُهاجر إلى المدينة، فأغلظ له القول ونال منه، فحلم عنه ﷺ وقال: يا عثمان؛ لعلك ترى هذا المفتاح يومًا بيدي، أضعُه حيث شئتُ، فقال: لقد هلكتْ قريشٌ يومئذٍ وذلَّتْ، فقال: بل عمرتْ وعزَّتْ يومئذٍ،

---

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) سبأ: ٤٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٤) برقم (١٨٣٤) كتاب جزاء الصيد. باب لا يحلُّ القتال بمكَّة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٦) برقم (١٣٥٣) كتاب الحج. باب تحريم مكَّة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها؛ إلَّا لمنشدٍ على الدوام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٤٦) برقم (٤٢٨٠) كتاب المغازي. باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟



ووقعتْ كلمتُه من عثمان بن طلحة موقعًا، وظنَّ أنَّ الأمر سيصير إلى ما قال، إلَّا أنَّ الرسول ﷺ قد أعطاه مفاتيح الكعبة قائلًا له: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برٍّ ووفاءٍ، خذوها خالدةً تالدةً، لا ينزعها منكم إلَّا ظالم، فلم يُعْطِ الرسولُ ﷺ المفتاحَ أحدًا من بني هاشم، وقد تطاول لأخْذه رجالٌ منهم.

وحانت الصلاة، فأمر الرسولُ ﷺ بلالًا أن يصعد فيُؤذِّن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أُسيدًا ألَّا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنَّه حقٌّ لاتَّبعتُه، فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئًا، لو تكلَّمتُ لأخبرتْ عنّي هذه الحصباء، فخرج عليهم الرسولُ ﷺ فقال لهم: قد علمتُ الذي قلتُم، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنَّك رسولُ الله، واللهِ ما اطَّلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول: أخبرك.

وأخيرًا فقد ذكر كثيرٌ من المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]؛ أنَّ المراد من الفتح القريب: فتْح مكَّة[٢].

(١) الصف: ١٣.

(٢) يُنظَر: تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٦/ ٣٦٠)؛ التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٢٩٣)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٤٢٨). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مُثبَتٌ أسماؤهم بالمقدِّمة (ص ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدَّمه وقرَّظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م. تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقِّق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض– السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.



٢١ ذي الحجة

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(١).

قال السعدي: قل للمؤمنين أي: أرشِدِ المؤمنين، وقلْ لهم: الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخلُّ بالإيمان: { يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيَّات، وإلى المردان (جمع أمرد وهو الغلام جميل الصورة)، الذين يُخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. { وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } عن الوطء الحرام، في قُبُل أو دُبُر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسِّها، والنظر إليها. { ذَلِكَ } الحفظ للأبصار والفروج { أَزْكَى لَهُمْ } أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإنَّ مَن حفِظ فرجه وبصره؛ طهُر من الخبث الذي يتدنَّس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترْك المحرَّم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمَن ترَك شيئًا لله؛ عوَّضه الله خيرًا منه، ومَن غضَّ بصره عن المحرَّم؛ أنار الله بصيرته، ولأنَّ العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومُقدِّماته مع داعي الشهوة؛ كان حِفْظُه لغيره أبلغ، ولهذا سمَّاه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظُه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه؛ لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما؛ أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمَّلْ كيف أمر بحفظ الفرج مُطلقًا، لأنَّه لا يُباح في حالة من الأحوال، وأمَّا البصر فقال: { يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } أتى بأداة " مِن " الدالَّة على التبعيض، فإنَّه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكَّرهم بعلمه بأعمالهم؛ ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرَّمات(٢).

وقال أبو العالية: كلُّ فرْجٍ ذُكِرَ حِفْظُهُ في القرآن فهو من الزِّنا إلَّا هذه، (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) فإنَّه يعني الستر(٣).

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٦٦).

(٣) يُنظَر: تفسير الطبري= جامع البيان. ت شاكر (١٩/ ١٥٤).



ومن الأحاديث الدالة على غضِّ البصر؛ قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:" يا عليُّ؛ لا تُتبِعِ النظرة النظرة؛ فإنَّ لك الأولى، وليست لك الآخرة" رواه أبو داود والترمذي[١].

وعن جرير بن عبد الله البجلي- رضي الله عنه- قال: سألتُ النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فقال:" اصرفْ بصرَكَ" رواه مسلم[٢].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضِي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تُفضِي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد" رواه مسلم[٣].

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: إيَّاكم والجلوسَ على الطرقات. قالوا: يا رسول الله؛ لا بدَّ لنا من مجالسنا، نتحدَّث فيها. فقال رسول الله ﷺ: إن أبيتم؛ فأعطوا الطريق حقَّه. قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال:" غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" رواه البخاري ومسلم[٤].

وفي البخاري: مَن يضمنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رجليه؛ أضمنْ له الجنَّة[٥].

قال ابن كثير: ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب، كما قال بعض السلف:" النظرُ سهامُ سُمٍّ إلى القلب"؛ ولذلك أمر الله بحفظ الفروج، كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك[٦].

وقال أيضًا:(ذلك أزكى لهم) أي: أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم، كما قيل:" مَن حفِظَ بصرَه؛ أورثه الله نورًا في بصيرته". ويُروى:" في قلبه".

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٦٤) برقم (١٣٦٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٦) برقم (٢١٤٩) كتاب النكاح. باب ما يؤمر به من غضِّ البصر. والترمذي في جامعه (٥/ ١٠١) برقم (٢٧٧٧) أبواب الأدب. باب ما جاء في نظرة الفجاءة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٣١٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٩) برقم (٢١٥٩) كتاب الآداب. باب نظر الفجاءة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٦٦) برقم (٣٣٨) كتاب الحيض. باب تحريم النظر إلى العورات.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب. باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٧٥) برقم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة. باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقَّه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٠) برقم (٦٤٧٤) كتاب الرقاق. باب حِفْظ اللِّسان.

(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢).



وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا عتاب، حدَّثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أوَّل مرَّةٍ ثم يغضُّ بصرَه؛ إلَّا أخلفَ الله له عبادةً يجدُ حلاوتَها" رواه أحمد[١].
أحمد[١].

ورُوي هذا مرفوعًا عن ابن عمر، وحذيفة، وعائشة- رضي الله عنهم- ولكنْ في إسنادها ضعف، إلَّا أنَّها في الترغيب، ومثله يُتسامَح فيه.

وفي الطبراني من طريق عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعًا:" لَتغضُّنَّ أبصارَكم، ولَتحفظُنَّ فروجَكم، ولتقيمنَّ وجوهَكم- أو: لتكسفنَّ وجوهكم"[٢].

وقال الطبراني: حدَّثنا أحمد بن زهير التستري قال: قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضرير المقرئ، حدَّثنا يحيى بن أبي بكير، حدَّثنا هريم بن سفيان، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ النظرةَ سهمٌ من سهامِ إبليسَ مسمومٌ، مَن تركه مخافتي؛ أبدلتُه إيمانًا يجدُ حلاوتَه في قلبه" رواه الطبراني[٣].

وقوله: (إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعون)، كما قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" كُتِبَ على ابن آدم حظُّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة. فزنا العينين: النظر. وزنا اللسان: النطق. وزنا الأذنين: الاستماع. وزنا اليدين: البطش. وزنا الرِّجْلَين: الخطي. والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكذِّبه". رواه البخاري تعليقًا، ومسلم[٥] مُسندًا من وجه آخر بنحو ما تقدَّم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٦١٠) برقم (٢٢٢٧٨). والحديث ضعَّفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٠٨) برقم (٧٨٤٠). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٤). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقِّق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية– القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٧٣) برقم (١٠٣٦٢). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٧).

(٤) غافر: ١٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) برقم (٦٢٤٣) كتاب بدء السلام. باب زنا الجوارح دون الفرج. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٦) برقم (٢٦٥٧) كتاب القدر. باب قُدِّرَ على ابن آدم حظُّه من الزنا وغيره.



وقد قال كثيرٌ من السلف: إنَّهم كانوا ينهون أن يُحِدَّ الرجلُ نظره إلى الأمرد. وقد شدَّد كثيرٌ من أئمة الصوفية في ذلك، وحرَّمه طائفة من أهل العلم؛ لما فيه من الافتتان، وشدَّد آخرون في ذلك كثيرًا جدًّا.

وقال ابن أبي الدنيا: حدَّثنا أبو سعيد المدني، حدَّثنا عمر بن سهل المازني، حدَّثني عمر بن محمد بن صهبان، حدَّثني صفوان بن سليم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:"كلُّ عينٍ باكيةٌ يوم القيامة؛ إلَّا عينًا غضَّتْ عن محارم الله، وعينًا سهرتْ في سبيل الله، وعينًا يخرج منها مثلُ رأسِ الذبابِ من خشيةِ الله عزَّ وجلَّ"[١][٢].

وقال عنترة العبسي:

وأغُضُّ طرفي ما بدتْ لي جارتي حتَّى يُواري جارتي مأواها[٣]

ولم يذكر الله تعالى ما يُغضُّ البصرُ عنه ويُحفَظ الفرج منه، غير أنَّ ذلك معلومٌ بالعادة، وأنَّ المراد منه المحرَّم دون المحلَّل. وفي البخاري: وقال سعيد بن أبي الحسن للحسن: إنَّ نساء العجم يكشفْنَ صدورهنَّ ورءوسهنَّ؟ قال: اصرفْ بصرَك[٤].

وروى الأوزاعي قال: حدَّثني هارون بن رئاب أنَّ غزوان وأبا موسى الأشعري كانا في بعض مغازيهم، فكشفتْ جارية، فنظر إليها غزوان، فرفع يده فلطم عينه حتَّى نفرتْ، فقال: إنَّكِ للحَّاظةٌ إلى ما يضرُّكِ ولا ينفعكِ؛ فلقي أبا موسى فسأله فقال: ظلمتَ عينك، فاستغفرِ الله وتُبْ، فإنَّ لها أوَّل نظرة، وعليها ما كان بعد ذلك. قال الأوزاعي: وكان غزوان ملك نفسه، فلم يضحك حتَّى مات- رضي الله عنه-[٥].

ولقد كره الشعبي أن يُديم الرجلُ النظرَ إلى ابنته أو أمِّه أو أخته؛ وزمانه خيرٌ من زماننا هذا، وحرامٌ على الرجل أن ينظر إلى ذات محرمة نظرَ شهوةٍ يُردِّدُها[٦].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٣). والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٤/ ٦٥). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢- ٤٤).

(٣) يُنظَر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٧/ ١٢٢). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقِّق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا. صحيح البخاري (٨/ ٥١) كتاب الاستئذان. باب بدون ترجمة.

(٥) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣).

(٦) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣).

وروى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جدِّه قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يمينُكَ، قُلتُ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قالَ: إنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ"، قُلتُ: فالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا، قالَ:" فَاللهُ أَحقُّ أَنْ يُستحيا مِنْهُ" رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم[١].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٣٥) برقم (٢٠٠٣٤). وأبو داود في سننه (٤/ ٤٠) برقم (٤٠١٧) كتاب الحمام. باب ما جاء في التعرِّي. والترمذي في جامعه (٥/ ٩٧) برقم (٢٧٦٩) أبواب الأدب. باب ما جاء في حِفْظ العورة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٨٧) برقم (٨٩٢٣) كتاب عِشْرة النِّساء. نظر المرأة إلى عورة زوجها. وابن ماجه في سننه (١/ ٦١٨) برقم (١٩٢٠) كتاب النكاح. باب التستر عند الجماع. والحديث حسَّنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٤).



٢٢ ذي الحجة

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ

يقـول الله تعـالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[(١)]، قـال الإمـام القرطبي: قوله تعالى: (وقل للمؤمنات) خصَّ الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد؛ فإنَّ قوله (قل للمؤمنين) يكفي؛ لأنَّه قولٌ عامٌّ يتناول الذكَر والأنثى من المؤمنين، حسب كلِّ خطابٍ عامٍّ في القرآن[(٢)].

وقـال السـعدي: لما أمـر المـؤمنين بغـضِّ الأبصـار وحفـظ الفـروج؛ أمـر المؤمنـات بـذلك، فقـال: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عن النظر إلى العورات والرجال بشهوة ونحو ذلك من النظر الممنوع[(٣)].

وقال ابن كثير:" هذا أمرٌ من الله تعالى للنساء المؤمنات، وغيرةٌ منه لأزواجهنَّ، عباده المؤمنين، وتمييزٌ لهنَّ عن صفة نساء الجاهلية وفِعَال المشركات. وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا- والله أعلم- أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري حدَّث: أنَّ أسماء بنت مرثد كانت في محلٍّ لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلْنَ عليها غير متَّزِرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله: (وقل للمؤمنات يغضُضنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ) الآية.

فقوله تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) أي: عمَّا حرَّم الله عليهنَّ من النظر إلى غير أزواجهنَّ. ولهذا ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أنَّه: لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلًا.

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهنَّ إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت في الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة أمُّ المؤمنين تنظر إليهم مِن ورائه، وهو يسترها منهم حتَّى ملَّتْ ورجعتْ"[(٤)(٥)].

---

(١) النور: ٣١.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٦).

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٦٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨) برقم (٤٥٥) كتاب الصلاة. باب أصحاب الحراب في المسجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٩) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين. باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيَّام العيد.

(٥) يُنظَر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٤).



هذا وقد اتَّفق الفقهاء على تحريم نظر المرأة إلى عورة الرجل. كما اتَّفقوا على المنع أيضًا في غير العورة حال وجود الفتنة بهذا النظر. كما اتَّفقوا على إباحة النظر في حال الحاجة، كنظر الطبيبة إلى المريض إذا لم يوجد الطبيب الرَّجُل(١).

ولكن اختلف الفقهاء اختلافًا واسعًا حول نظر المرأة إلى غير العورة من الرجل من غير حاجة، على أربعة آراء:

الرأي الأول: لا يُباح لها النظر إلى الرجل بأي حالٍ من الأحوال. وهو قول عند الشافعية(٢)، ورواية عند الحنابلة(٣). واستدلُّوا بعموم قوله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ). ووجه الاستدلال: أنَّ الله سبحانه أمر بغضِّ البصر مُطلقًا، فحُرِّمَ النظرُ عليهِنَّ للرجال، كما يحرُمُ على الرجال النظرُ إليهنَّ.

واحتجُّوا أيضًا بحديث أم سلمة- رضي الله عنها- قالت: كنتُ عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابنُ أمِّ مكتوم وذلك بعد أن أُمِرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: احتجبا منه. فقلنا: يا رسول الله؛ أليس أعمى لا يُبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي ﷺ: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟ رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي(٤). ووجه الاستدلال: أنَّه ﷺ أمر بالاحتجاب منه مع أنَّه أعمى لا يراهما، فدلَّ ذلك على أنَّ نظر المرأة إلى الرجل ممنوع.

---

(١) يُنظَر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (٣/ ١١٧)؛ فقه النكاح والفرائض (ص ٤٤). موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، إعداد: د. أسامة بن سعيد القحطاني، د. علي بن عبد العزيز بن أحمد الخضير، د. ظافر بن حسن العمري، د.فيصل بن محمد الوعلان، د. فهد بن صالح بن محمد اللحيدان، د. صالح بن عبيد الحربي، د. صالح بن ناعم العمري، د.عزيز بن فرحان بن محمد الحبلاني العنزي، د. محمد بن معيض آل دواس الشهراني، د. عبد الله بن سعد بن عبد العزيز المحارب، د. عادل بن محمد العبيسي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م. فقه النكاح والفرائض، المؤلف: محمد عبد اللطيف قنديل، الناشر: بدون، الطبعة: بدون.

(٢) يُنظَر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٣١)؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٢٥)؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٠٠). روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، رُوجِعتْ وصُحِّحتْ: على عدَّة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧هـ- ١٩٨٣م.

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥١).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٤/ ١٥٩) برقم (٢٦٥٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٦٣) برقم (٤١١٢) كتاب اللباس. باب في قوله عزَّ وجلَّ: {وقل للمؤمنات يغضُضنَ من أبصارهنَّ} النور: ٣١. والترمذي في جامعه (٥/ ١٠٢) برقم (٢٧٧٨) أبواب الأدب. باب ما جاء في احتجاب النِّساء من الرِّجال. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٩٣) برقم (٩١٩٧) كتاب عِشْرة النِّساء. نظر النِّساء إلى الأعمى. والحديث ضعَّفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٤).



وأنَّ المرأة كالرجل يحرُمُ عليها الاستمتاع بالأجنبي، كما يحرُمُ على الأجنبي الاستمتاع بها، فإذا كان الأجنبي يحرُمُ عليه النظر إليها خشية الفتنة، فكذلك المرأة يحرُمُ عليها النظر إلى الرجل خشية الفتنة. وليس أحدهما بأولى من الآخر.

الرأي الثاني: يُباح لها النظر إلى غير العورة من الرجل. وبه قال الحنفية(١)، وهو المذهب عند الشافعية(٢)، وعند الحنابلة(٣). واستدلُّوا بحديث فاطمة بنت قيس- رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ قال لها: اعتدي في بيت ابن أمِّ مكتوم، فإنَّه رجل أعمى، تضعين ثيابك فلا يراك. رواه مسلم(٤). ووجه الاستدلال: أنَّ ابنَ أمِّ مكتوم رجلٌ أجنبيٌّ من فاطمة، فلو كان نظرُ المرأة إلى الرجل مُحرَّمًا لنهاها النبي ﷺ عن ذلك.

كما استدلُّوا بحديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: رأيتُ النبي ﷺ يسترُني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتَّى أكون أنا الذي أسأم. رواه البخاري ومسلم(٥). ووجه الاستدلال: أنَّ نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي لو كان مُحرَّمًا لمنع الرسولُ ﷺ عائشةَ منه.

وأيضًا حديث ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ خرج يوم أضحى أو فطر، فصلَّى ركعتين لم يُصلِّ قبلها ولا بعدها، ثم أتى النساء ومعه بلال، فأمرهُنَّ بالصدقة، فجعلت المرأة تُلقي خُرصها وتلقي سِخابها. رواه البخاري مسلم(٦). ووجه الاستدلال: أنَّ نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي لو كان مُحرَّمًا لما قابلهُنَّ رسول الله ﷺ بالموعظة، ولا سِيَّما أنَّ معه بلالًا.

كما أنَّ النساء لو مُنِعْنَ النظر؛ لوجب على الرجال الحجاب كما وجب على النساء؛ لئلَّا ينظرْنَ إليهم. فاستمرار العمل على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار

---

(١) يُنظَر: المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٤٨)؛ الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٦/ ٣٧١). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة- بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م. رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) يُنظَر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٣١)؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٢٥)؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٠٠).

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١١١٤) برقم (١٤٨٠) كتاب الطلاق. باب المطلَّقة ثلاثًا لا نفقة لها.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨) برقم (٤٥٤) كتاب الصلاة. باب أصحاب الحراب في المسجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٨) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين. باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيَّام العيد.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٩) برقم (٩٦٤) أبواب العيدين. باب الخطبة بعد العيد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٦) برقم (٨٨٤) كتاب صلاة العيدين. باب ترْك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلَّى.



مُنتقبات؛ لئلَّا يَراهُنَّ الرجال، ولم يُؤمر الرجال قط بالانتقاب؛ لئلَّا يراهم النساء، فدلَّ ذلك على تغاير الحكم بين الطائفتين.

الرأي الثالث: يُباح لها النظر إلى ما يظهر غالبًا من الرَّجُل كالوجه واليدين، والقدمين والرقبة ونحو ذلك. وهو قول عند الشافعية[١]، ورواية عند الحنابلة[٢]. واستدلُّوا بنفس أدلَّة مَن قال بإباحة نظر المرأة إلى ما عدا العورة، وهي حديث فاطمة وحديث عائشة- رضي الله عنهما- فليس فيهما إلَّا ما يظهر غالبًا، وليس فيهما أنَّ فاطمة وعائشة نظرتا إلى بطنٍ أو ظهرٍ مع ما في ذلك من احتمال الفتنة.

الرأي الرابع: يُكرَه للمرأة النظر إلى الرجل. وهذا القول رواية عند الحنابلة، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، وهي ظاهر كلام الإمام أحمد[٤]. ويمكن الاستدلال لهذا القول بالجمْع بين الأدلَّة، وبأنَّه يُكرَه للرجل أن ينظر من المرأة ما ليس بعورة لغير حاجة؛ خوفًا أن يدعو ذلك إلى الفتنة، وهذا المعنى موجود أيضًا في المرأة؛ إذ لا يُؤمَن عليها حصول الفتنة بنظرها إلى الأجنبي، فينبغي أن يُكرَه ذلك، وهذا معنى مُعتبَر.

مع أنَّ القول بالكراهة ينبغي أن يُحمَل على ما يظهر غالبًا كالوجه واليدين والقدمين ونحوهما، وأمَّا ما لا يظهر غالبًا كالبطن والظهر والفخذين؛ فكلُّ ذلك ممَّا يحرُمُ على المرأة النظر إليه، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أمر النِّساء بغضِّ البصر، ولم يرد ما يدلُّ على جواز مثل هذا النظر، كما يمكن حملُ المنع في حديث أم سلمة " أفعمياوان أنتما " على مثل هذه الحال، مع ما في هذا النوع من النظر من الفتنة الظاهرة، والله أعلم.

---

(١) يُنظَر: روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٢٥)؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٠٠).

(٢) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥١).

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥٢).

(٤) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥٢).



٢٣ ذي الحجة

وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه

عن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يُسألَ: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه" رواه الترمذي(١).

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" لا تزول قدمُ ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتَّى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم" رواه الترمذي(٢).

يعني: لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة من موقف الحساب حتَّى يُسأل عن هذه الأمور الأربعة، وهذا الحديث ظاهره العموم أنَّ كلَّ أحدٍ لا يجاوز موقف الحساب حتَّى يُسأل، ومن أهل العلم مَن يقول: إنَّه يُستثنَى مِن ذلك مَن جاء في النصوص الأخرى أنَّه لا يُحاسَب، فالسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة مِن غير حسابٍ ولا عذابٍ لا يدخلون في هذا العموم.

وقوله ﷺ: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه) أي هل اكتسبه من طريق مباح أو من طريق شبهات؟ وماذا فعل بهذه الأموال؟ هل سخَّرها في معصية؟ هل أضاع هذه الأموال بالإسراف والمباهاة، أو وضَعَها في أمورٍ من السفه الذي لا يرضاه الله؟ والله عزَّ وجلَّ يقول:﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾(٣)، فضيَّع المال، ووَضَعَه بأيدي مَن يُضيِّعونه من النساء والصبيان، فكان مِتلافًا لهذه الأموال التي ابتلاه الله سبحانه بها.

والمال لا يختصُّ بالنقود التي يُعطاها الإنسان فقط، فالسيارة من المال؛ ماذا عمل بها، هل يذهب بهذه السيارة إلى أماكن لا يرضاها الله سبحانه وتعالى؟ هذا المسكن من المال؛ هل استغلَّه في المعصية، أم في طاعة الله عزَّ وجلَّ؟ .... إلخ.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٢) برقم (٢٤١٧) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب في القيامة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٢).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٢) برقم (٢٤١٦) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب في القيامة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤١٦).

(٣) النساء: ٥.



للأسف الشديد فإنَّ مع كثرة الشهوات والشبهات، وكثرة الفتن، وقلَّة المال، وغلاء الأسعار، ونزْع البركة من الأموال والأوقات؛ أصبح كثيرٌ من الناس يطلب المال من أي مكانٍ وبأيَّة طريقةٍ، ولا يسأل عن حِلِّه ولا حُرمته، إلَّا مَن رحم الله، بل إنَّ بعض الناس أصبح يبخل عند إخراج الزكاة، والبعض يبحث عن الرُّخَص في إسقاط الزكاة، لِماذا؟ وقد علم المسلم أنَّ الرزق قد كتبه الله للعبد وهو في بطن أمه، ولن تموت نفس حتَّى تستكمل رزقها، وأنَّ رزق الله لا يجلبه حرصُ حريصٍ ولا يدفعه كراهةُ كارهٍ، وإنَّما على العبد أن يسلك الطرق المباحة للكسب بنيَّة طيِّبة، أمَّا أن يرتكب المحرَّمات ليكسب، أو يُرْهِق نفسه ويُصيبه القلق والاكتئاب من أجل الكسب أو لفوات المال؛ فهذا خلاف ما قدَّره الله وشرعه.

إنَّ المال وديعةٌ من الله للعبد، والله يُعطي العبد بقَدَرٍ؛ حتَّى يعيشَ بسلام ولا يبغِيَ في الأرض، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[١].

وأعطاه المال وقيَّده بضوابط شرعيَّة، فليس له أن يخبط في ماله بغير حقٍّ، قال سبحانه وتعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٢].

ونهى عن الإسراف والتبذير، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٤].

ولذا سيُسْأل العبد عن ماله: كيف كسبه؟ وكيف أنفقه؟ فالبعض رزقه الله مالًا، وهو يخبط فيه يمنة ويسرة، ولا يرعى فيه حقًّا، عن خولة بنت عامرٍ الأنصارية- رضي الله عنها- قالتْ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ رجالًا يَتخوَّضونَ في مال الله بغير حقٍّ؛ فلهم النارُ يوم القيامة" رواه البخاري[٥].

---

(١) الشورى: ٢٧.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الإسراء: ٢٦.

(٤) الأعراف: ٣١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٥) برقم (٣١١٨) كتاب فرْض الخمس. باب قول الله تعالى: {فأنَّ لله خمسه وللرسول} الأنفال: ٤١.



وأعظم منه جُرمًا ذلك الذي يُنفقه في الحرام، فيشتري السَّيِّئات بماله، كمَن يشرب الدُّخان أو المخدِّرات، أو يدفع مالًا ليزني، أو يسافر لأماكن الفجور، أو يدخل أماكن المنكَر بماله، كلُّ هذا سيُسأل عنه.

ومثله الذي يغشُّ في البيع والمعاملات، ويسرق ويرتشي، ويأكل مال غيره بالحرام، ويحاول كسْب المال بأيَّة طريقة، فالحلال عنده ما حلَّ في اليد.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان لأبي بكر الصديق- رضي الله عنه- غلامٌ يُخرِج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنتُ لإنسانٍ في الجاهلية، وما أُحسِنَ الكهانة إلَّا أنِّي خدعتُه، فلقيني فأعطاني بذلك هذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه[١].

وروى الترمذي عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ"[٢].

وأخرج البخاري أيضًا أنَّ عمرَ بن الخطَّاب- رضي الله عنه- كان قد فرض للمهاجرين الأوَّلين أربعة آلاف، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو مِن المهاجرين، فلِمَ نقصتَه مِن أربعة آلاف؟ فقال: إنَّما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمَن هاجر بنفسه[٣].

قال ابن عثيمين- رحمه الله-: وهذا يدلُّ دلالة عظيمة على شدَّة ورع أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-. وهكذا يجب على مَن تولَّى شيئًا من أمور المسلمين ألَّا يُحابي قريبًا لقُرْبه، ولا غنيًّا لغناه، ولا فقيرًا لفقره، بل يُنزِلُ كلَّ أحدٍ منزلته، فهذا من الورع والعدل، ولم يقلْ عبد الله بن عمر: يا أبتِ، أنا مُهاجِرٌ، ولو شئتُ لبقيتُ في مكَّة؛ بل وافق على ما فرضه له أبوه[٤]. ذريَّة بعضُها مِن بعضٍ في الورع.

والخلاصة أنَّ قوله ﷺ: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه) مَعْنَاهُ أَنَّ الإِنْسَانَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْمَالِ الَّذِى فِى يَدِهِ فِى الدُّنْيَا، فَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ الْحَرَامِ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَا أَنْفَقَهُ فِيهِ أَمْرٌ أَبَاحَهُ الشَّرْعُ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٤٣) برقم (٣٨٤٢) كتاب مناقب الأنصار. باب أيَّام الجاهلية.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٥١٢) برقم (٦١٤) أبواب السفر. باب ما ذُكِرَ في فضْل الصلاة. والحديث صحَّحه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٦٣) برقم (٣٩١٢) كتاب مناقب الأنصار. باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٠٨) شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

فَالنَّاسُ فِى أَمْرِ الْمَالِ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ؛ اثْنَانِ هَالِكَانِ وَوَاحِدٌ نَاجٍ، فَالْهَالِكَانِ: أَحَدُهُمَا الَّذِى جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَرَامٍ، وَالآخَرُ الَّذِى جَمَعَهُ مِنْ حَلالٍ ثُمَّ صَرَفَهُ فِى الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ الَّذِى يَصرِفُهُ فِى الْحَلالِ لِلرِّيَاءِ هَالِكٌ. أمَّا الناجِي فَهُوَ الَّذِى جَمَعَهُ مِنْ حَلَالٍ، وَأنفقَهُ فِي حَلَالٍ وَطَاعَةٍ مِن غيرِ رياءٍ ولا إسرافٍ.



٢٤ ذي الحجة

ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له

قد ثبتتْ فضيلة ماء زمزم في أحاديث كثيرة، وتوارث المسلمون تعظيمها من غير إنكار مُنكِرٍ ولا مدافعة دافع، فمن الأحاديث الثابتة في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حادثة شقِّ صدره ﷺ، وغسْله بماء زمزم[١]، فتخصيص ماء زمزم دون غيره بغسْل صدره الشريف يدلُّ على فضْله وبركته.

وحديث أبي ذر- رضي الله عنه- أنَّه لما أخبر النبي ﷺ بمكثه ثلاثين بين يومٍ وليلةٍ بمكَّة، قال له النبي ﷺ: فمَن كان يُطعِمُكَ؟ فقال له: ما كان لي طعامٌ إلَّا ماء زمزم، فقال له النبي ﷺ:" إنَّها مباركة، إنَّها طعامُ طعمٍ" رواه مسلم[٢].

فقوله ﷺ: (إنَّها مباركة) يدلُّ دلالة صريحة على بركتها وفضْلها على سائر المياه.

ومنها قوله ﷺ أيضًا:" خيرُ ماءٍ على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم" رواه المنذري والهيثمي والطبراني وابن حبان ورواته ثقات[٣].

ورواه البزار بلفظ:" زمزم طعام طعم، وشفاء سقم" وسنده صحيح[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٤٧) برقم (١٦٢) كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩١٩) برقم (٢٤٧٣) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٩٨) برقم (١١١٦٧)؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٨٦). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقِّق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٤) رواه البزار في مسنده (٩/ ٣٦١). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٥٦٠). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقِّق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقَّق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقَّق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقَّق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).



ومنها حديث جابر- رضي الله عنه- مرفوعًا:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له" رواه أحمد وابن ماجه[١]، ورواه البيهقي[٢] والدارقطني[٣] والحاكم[٤] بزيادة:" إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِشبَعِكَ أَشْبَعَكَ اللهُ بِهِ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ، وَهِيَ هَزَمَةُ جِبْرِيلَ- ضربها برجله فنبع الماء- وَسُقْيَا اللهِ إِسْمَاعِيلَ"(٥)، وروى الديلمي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- بمثله من غير زيادة:" وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذًا عَاذَكَ اللهُ" وصحَّحه الحاكم والبيهقي والمنذري، وحسَّنه ابن حجر[٦].

وقال ابن القيم في زاد المعاد: الحديث حسنٌ، وقد صحَّحه بعضُهم، وجعله بعضُهم موضوعًا، وكِلا القولين فيه مجازفة. وقد جرَّبتُ أنا وغيري- والكلام لابن القيم- من الاستشفاء بماء زمزمَ أُمورًا عجيبة، واستشفيتُ به من عدَّة أمراض، فبرأتُ بإذن الله[٧].

وكان ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهمَّ إِنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً من كل داء[٨].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٤٠) برقم (١٤٨٤٩). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠١٨) برقم (٣٠٦٢) كتاب المناسك. باب الشرب من زمزم. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٢٠).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٤٨).

(٣) سنن الدارقطني (٣/ ٣٥٤) برقم (٢٧٣٩). سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ)، حقَّقه وضبط نصَّه وعلَّق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٦٤٦) برقم (١٧٣٩).

(٥) الحديث قال عنه الألباني: "باطل موضوع" كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٢٩).

(٦) لم أقف على تحسين الحافظ في كتبه. فالله أعلم. إلَّا أنَّه في التلخيص الحبير كأنَّه يميل إلى أنَّ الحديث موقوف؛ فقال بعد ذِكْر إسناد الحديث:" قلتُ: والجارودي صدوق، إلَّا أنَّ روايته شاذَّة؛ فقد رواه حُفَّاظ أصحاب ابن عيينة كالحميدي، وابن أبي عمر، وغيرهما عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: وممَّا يُقوِّي رواية ابن عيينة ما أخرجه الدينوري في المجالسة من طريق الحميدي قال: كنَّا عند ابن عيينة فجاء رجل فقال: يا أبا محمد؛ الحديث الذي حدَّثتنا عن ماء زمزم صحيح؟ قال: نعم. قال: فإنِّي شربتُه الآن لتُحدِّثني مائة حديث. فقال: اجلس. فحدَّثه مائة حديث. اهـ". التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير (٤/ ١٦٤٤) (٤). التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقِّق: الدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى، الناشر: دار أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٦١).

(٨) يُنظَر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٣٤٢).



واشتُهر عن الإمــام الشافعي أنَّه شــربه للرمــي، فكان يصيب من كلِّ عَشرةٍ تسعةً[١].

ودخل ابن المبارك زمزم فقال: اللهمَّ إنَّ ابنَ المؤمّل حدَّثني عن أبي الزبير عن جابر أنَّ رسول الله ﷺ قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له "؛ فاللهمَّ إنِّي أشربُه لعطش يوم القيامة[٢].

وقال ابن المقرئ في تاريخ دمشق: كُنَّا عند ابن عُيينة فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا محمَّد؛ ألستم تزعمون أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له"؟ قال: نعم. قال: فإنِّي قد شربْتُه لتُحدِّثني بمائتي حديث. قال: اقعد. فحدَّثه بها[٣].

وسُئلَ ابنُ خزيمة: مِن أين أوتيتَ العلمَ؟ فقال: قال رسول الله ﷺ:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له"، وإنِّي لما شربتُ سألتُ الله علمًا نافعًا[٤].

ولما حجَّ الخطيب البغدادي شَرِبَ من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله ثلاث حاجات؛ آخِذًا بالحديث، فالحاجة الأولى: أن يُحدِّثَ بتاريخ بغداد في بغداد، والثانية: أن يُمليَ الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يُدْفَنَ عند بشر الحافي. فقضى الله له ذلك[٥].

والإمام النووي نفسه قال في تهذيب الأسماء: وجاء" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له" معناه مَن شَرِبَهُ لحاجةٍ نالها، وقد جرَّبه العلماء والصالحون لحاجات أخرويَّة ودنيويَّة فنالوها بحمْدِ الله تعالى وفضْلِه[٦].

---

(١) يُنظَر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٣/ ١١٦). مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) يُنظَر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٦٠).

(٣) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ٣٠٨). تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقِّق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٤) يُنظَر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٠). سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقِّق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٥) يُنظَر: تاريخ الإسلام (١٠/ ١٨٠).

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٣٩). تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، عُنيتْ بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يُطلَب من: دار الكتب العلمية، بيروت— لبنان.

وقال أيضًا: وهذا ممَّا عمل العلماء والأخيار به، فشربوه لمطالب لهم جليلة فنالوها، قال العلماء: فيُستحَبُّ لمن شَرِبَه للمغفرة أو للشفاء من مرض ونحو ذلك؛ أن يقول عند شُرْبه: اللهمَّ إنَّه بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له". اللهمَّ وإنِّي أشربه لتغفر لي، ولتفعل بي كذا وكذا، فاغفر لي، أو افعل، أو اللهمَّ إنِّي أشربه مُستشفيًا به فاشفني، ونحو هذا[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في فتاوى نور على الدرب: هذا الحديث إسناده حسن، ولكن هل المراد العموم وأنَّ الإنسان إن شربه لعطشٍ صار ريَّان، أو لجوعٍ صار شبعان، أو لجهلٍ صار عالمِا، أو لمرضٍ شُفِيَ، أو ما أشبه ذلك. أو يُقال: إنَّه لِمَا شُرِبَ له فيما يتعلَّق بالأكل والشرب، بمعنى إنْ شربتَه لعطشٍ رويت، ولجوعٍ شبعتَ دون غيرها. هذا الحديث فيه احتمال لهذا ولهذا[٢].

وقال في موضع آخر: الذي يظهر لي والله أعلم: أنَّ ماء زمزم لما شُرِبَ له ممَّا يتغذَّى به البدن، بمعنى: أنَّك لو اكتفيتَ به عن الطعام كفاك، وعن الشراب كفاك[٣].

وممَّا ينبغي التنبُّه له أنَّ حصولَ المراد لشاربه أو تأخُّرَ ذلك لا يُستدلُّ به على صحَّة الحديث أو عدمها، فإنَّ ذلك شبيهٌ باستجابة الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٤]، وليس معنى ذلك أن يحصل المطلوب في الحال، فقد قال ﷺ:" ما على الأرضِ مُسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلَّا أتاه الله إيَّاها، أو صرف عنه من السوء مثلها" رواه الترمذي[٥].

---

(١) الأذكار للنووي (ص ٢٠٣). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، طبعة جديدة مُنقَّحة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٢) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٦/ ٢، بترقيم الشاملة آليًّا). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [الكتاب مرقم آليًّا].

(٣) لقاء الباب المفتوح (٧٥/ ١٤، بترقيم الشاملة آليًّا). لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كلَّ خميسٍ. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٤) غافر: ٦٠

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٦٦) برقم (٣٥٧٣) أبواب الدعوات. باب في انتظار الفرَج وغير ذلك. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٧).



وقَال ﷺ:" ما من مُسلمٍ ينصب وجهه للهِ عزَّ وجلَّ في مسألة إلَّا أعطاها إيَّاه، إمَّا أن يُعجِّلَها له، وإمَّا أن يدَّخرَها له" رواه أحمد(١). وفي رواية من حديث أبي هريرة :" ما من مؤمن ينصب وجهه إلى الله تعالى يسأله إلَّا أعطاه إيَّاها، إمَّا أن يجعلها له في الدنيا، وإمَّا أن يدَّخِرها له في الآخرة ما لم يعجِّل، قالوا: وما عجلته؟ قال: يقول: دعوتُ الله عزَّ وجلَّ فلا أراه يُستجاب لي" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فكلُّ داعٍ يُستجابُ له، لكن تتنوَّع الإجابة فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوَضه.

ثم ينبغي كذلك أن تُراعَى شروطُ وأسبابُ حصول الإجابة أو القبول أو حصول المطلوب، فقد نبَّه أهل العلم على أنَّ شُربَ ماء زمزم لا يُفيد شاربه إن فعله مُجرِّبًا لا مُوقِنًا.

قال ابن العربي في أحكام القرآن: النبي ﷺ قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له" وأخبر بأنَّ هذا موجود فيه إلى يومه ذلك، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، لمن صحَّت نيَّته وسلمت طويته، ولم يكن به مُكذِّبًا، ولا شربه مُجرِّبًا؛ فإنَّ الله مع المتوكِّلين، وهو يفضح المجرِّبين، ولقد كنتُ- والكلام له- بمكَّة مُقيمًا وكنتُ أشرب ماء زمزم كثيرًا، وكُلَّما شربتُه نويتُ به العلم والإيمان، حتَّى فتح الله لي بركته في المقدار الذي يسَّره لي من العلم، ونسيتُ أن أشربه للعمل؛ ويا ليتني شربتُه لهما حتَّى يفتح الله عليَّ فيهما(٢).

والخلاصة أنَّ المذاهب الأربعة أكَّدتْ أنَّ الشرب من ماء زمزم سُنَّةٌ من سُنن الحج والعمرة. وهذه أقوالهم في كُتُبهم:

١- الأحناف: يُستحبَّ للحاجِّ أن يأتي زمزم فيشرب من مائه، ثم يَصُبَّ منه على بدنه(٣).

٢- المالكية: يُستحَبُّ لمن حجَّ أن يستكثر من ماء زمزم تبرُّكًا ببركته(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤٨٧) برقم (٩٧٨٥). والحديث صحَّحه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٧).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٩٨). أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٣) يُنظَر: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٤).

(٤) يُنظَر: تحبير المختصر وهو الشرح الوسط لبهرام على مختصر خليل (٢/ ٢٠٤). تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل في الفقه المالكي، المؤلف: تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقِّق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب . د.حافظ بن عبد الرحمن خير، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.



٣- الشافعية: يُستحبُّ الشربُ من ماء زمزم للأثر فيه عن جابر- رضي الله عنه- عند مسلم:" ثم شرب من ماء زمزم بعد فراغه"[١] والحديث في صفة حجِّه ﷺ[٢].

٤- الحنابلة: ثم يأتي زمزم فيشرب منها لما أحبَّ، ويتضلَّع منه، بلا نزاع في الجملة[٣].

وقال الشيخ ابن باز- رحمه الله تعالى-: يُستحَبُّ للحاجِّ الشُّرْبُ من ماء زمزم والتضلُّعُ منه، والدُّعاء بما تيسَّر من الدعاء النافع[٤].

والتضلُّع: هو الإكثار من شُرْبه حتَّى يمتلئ، ويرتوي منه ويشبع ريًّا.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الدُّعاء عند شُرْبه قد استحبَّه الكثير من العلماء[٥].

وقال العبَّاس بن عبد المطلِّب- رضي الله عنه-: تنافسَ الناسُ في زمزم في زمن الجاهلية، حتَّى كان أهل العيال يَفِدون بعيالهم فيشربون فيكون صبوحًا لهم (شُرْب أول النهار)، وقد كُنَّا نَعُدُّها عونًا على العيال، وكانتْ تُسمَّى زمزمُ في الجاهلية (شبَّاعة)[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٢) يُنظَر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٤/ ٣٧٤). البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨ هـ)، المحقِّق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج- جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٩/ ٢٣٥).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٨٣).

(٥) يُنظَر: لقاء الباب المفتوح (٧٥/ ١٤، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٦) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٥١- ٥٢).



٢٥ ذي الحجة

فتبيَّنوا (التثبُّت في الأخبار)

ذكر كثيرٌ من المفسّرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]؛ أنَّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عُقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن سابق، حدَّثنا عيسى بن دينار، حدَّثني أبي أنَّه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي يقول : قدمتُ على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلتُ فيه وأقررتُ به، ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها، وقلتُ: يا رسول الله؛ أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمَن استجاب لي جمعتُ زكاته، ويرسل إليَّ رسولُ الله رسولًا لإبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعتُ من الزكاة. فلمَّا جمع الحارث الزكاة ممَّن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه؛ احتبس عليه الرسولُ فلم يأته، فظنَّ الحارث أنَّه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إنَّ رسول الله ﷺ كان وقَّتَ لي وقتًا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبْس رسولِه إلَّا مِن سخطةٍ كانت، فانطلِقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده ممَّا جمَعَ مِن الزكاة، فلمَّا أن سار الوليد حتَّى بلغ بعض الطريق فَرِقَ- أي: خاف- فرجع فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إنَّ الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي. فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث. وأقبل الحارث بأصحابه حتَّى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلمَّا غشيهم قال لهم: إلى مَن بُعِثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولِمَ؟ قالوا: إنَّ رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنَّك منعتَه الزكاة وأردتَ قتله. قال: لا والذي بعث محمدًا بالحقِ ما رأيتُه بتةً ولا أتاني. فلمَّا دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعتَ الزكاة وأردتَ قتْل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحقِ ما رأيتُه ولا أتاني، وما أقبلتُ إلَّا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله ﷺ خشيتُ أن يكون كانت سخطةٌ منَ الله ورسولِه. قال: فنزلتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ

(١) الحجرات: ٦.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[١][٢].

قال السعدي: وهذا أيضًا من الآداب التي على أولي الألباب التأدُّب بها واستعمالها، وهو أنَّه إذا أخبرهم فاسقٌ بخبرٍ أن يتثبَّتوا في خبره، ولا يأخذوه مُجرَّدًا، فإنَّ في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإنَّ خبَرَه إذا جُعِلَ بمنزلة خبر الصادق العدل؛ حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل مِن تلَفِ النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر؛ ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق؛ التثبُّت والتبيُّن، فإن دلَّت الدلائل والقرائن على صدقه؛ عُمِلَ به وصُدِّقَ، وإن دلَّتْ على كذبه كُذِّبَ ولم يُعمَل به، ففيه دليل على أنَّ خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق مُتوقَّفٌ فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثيرٍ من الخوارج المعروفين بالصدق، ولو كانوا فُسَّاقًا[٣].

وقال ابن عيثمين- رحمه الله- في تفسيره: فإنْ جاءنا فاسقٌ بخبرٍ، هل نقبله؟ لا، هل نردُّه؟ لا، لا نقبله لِمَا عنده من الفسق، ولا نردُّه لاحتمال أن يكون صادقًا؛ ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولم يقل: فردُّوه، ولم يقل: فاقبَلوه، بل يجب علينا أن نتبيَّن، وفي قراءة: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ وهما بمعنى متقارب، المعنى: أن نتثبَّت[٤].

وقد استخرج العلماء من هذه الآية الكريمة عدَّة دلالات، منها:

١. أنَّ خبر العدل مقبولٌ غير مردودٍ، اللهمَّ إلَّا إن لاحت قرائن تدلُّ على وهْمِه وعدم ضبطه، فإنَّه يُردُّ.

٢. أنَّه سبحانه وتعالى لم يأمر بردِّ خبر الفاسق وتكذيبه وردِّ شهادته جملةً، وإنَّما أمر بالتبيُّن، فإن قامت قرائن وأدلَّة تدلُّ على صدقه عُمِلَ بدليل الصدق، ولو أخبر به مَن أخبر.

---

(١) الحجرات: ٦-٩.

(٢) يُنظَر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٧٠). والحديث رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٠٣) برقم (١٨٤٥٩). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٢٣٢).

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٠٠).

(٤) يُنظَر: تفسير العثيمين: الحجرات- الحديد (ص ٢٤). تفسير الحجرات- الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.



٣. كما أنَّها تضمَّنتْ ذمَّ التسرُّع في إذاعة الأخبار التي يُخشَى من إذاعتها، ولقد عاب ربُّنا تبارك وتعالى هذا الصنف من الناس، كما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

٤- أنَّ في تعليل هذا الأدب بقوله تعالى: ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ ما يُوحي بخطورة التعجُّل في تلقِّي الأخبار عن كلِّ أحدٍ، خصوصًا إذا ترتَّب على تصديق الخبر طعنٌ في أحدٍ، أو بهتٌ له.

وختامًا فقد اتَّفق العلماء على أنَّ شهادة الفاسق لا تُقبَل؛ عملًا بقوله ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾، وكذلك لا تُقبَل روايتُه؛ لأنَّ الرواية عن رسول الله ﷺ أمانة ودين، والفسق يبطلها؛ لاحتمال كذبه على رسول الله ﷺ[٣].

قال الإمام القرطبي: ومَن ثَبَت فسقُه بطَل قولُه في الأخبار إجماعًا؛ لأنَّ الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها[٤].

وختامًا؛ دخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- وذكر له عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذبًا فأنتَ من أهل هذه الآية: ﴿ إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[٥]، وإن كنتَ صادقًا فأنتَ من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[٦]، وإن شئتَ عفونا عنك؟ فقال: العفوَ يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا. فعفا عنه عمر[٧].

---

(١) النساء: ٨٣

(٢) يونس: ٣٩.

(٣) يُنظَر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (ص ٥٤٢). روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، المؤلف: محمد بن علي الصابوني.

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٣١٢).

(٥) الحجرات: ٦.

(٦) القلم: ١١.

(٧) يُنظَر: الأذكار للنووي (ص ٣٤٨).



٢٦ ذي الحجة

وجوب لزوم الجماعة وذمُّ الفُرقة

وردتْ في القرآن العظيم آياتٌ تأمر المؤمنين، وتحثُّهم على لزوم الجماعة، وتُبيِّن لهم أنَّ الأمَّة الإسلامية أمَّة واحدة، وتُحذِّرهم من التفرُّق والاختلاف. ومن تلك الآيات:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢).

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾(٤).

٥- وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(٥).

وجاء عن رسولنا الكريم ﷺ العديدُ من الأحاديث النبوية الشريفة التي تأمر بلزوم جماعة المسلمين، وتُحذِّر من الفُرقة ومفارقة الجماعة، منها:

١- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:" إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا- وذَكَرَ منها-: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" رواه مسلم(٦).

٢- وفي حديث حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- في الفتن، والشاهد فيه: قوله ﷺ: دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ- أيْ حُذيفةُ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) آل عمران: ١٠٥.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

(٤) الأنعام: ١٥٩.

(٥) سورة الأنفال: ٤٦.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥) كتاب الأقضية. باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حقٍّ لزمه، أو طلب ما لا يستحقُّه.



قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ" رواه البخاري ومسلم(١).

٣- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنَّه قال:" مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" رواه مسلم(٢).

٤- وعن عَرْفَجَةَ- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ- وَهِيَ جَمِيعٌ- فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ" رواه مسلم(٣).

٥- وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ- يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ- إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ" رواه البخاري(٤).

٦- عن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: قال ﷺ:" عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ" رواه أحمد والترمذي(٥).

٧- عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" يدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ، ومَن شذَّ شذَّ إلى النَّارِ" رواه الترمذي(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٩) برقم (٣٦٠٦) كتاب المناقب. باب علامات النُّبوَّة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٥) برقم (١٨٤٧) كتاب الإمارة. باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدُّعاة إلى الكُفر.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٦) برقم (١٨٤٨) كتاب الإمارة. باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدُّعاة إلى الكُفر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٩) برقم (١٨٥٢) كتاب الإمارة. باب حُكْم مَن فرَّق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٥) برقم (٦٨٧٨) كتاب الديات. باب قول الله تعالى: {أنَّ النَّفس بالنَّفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنَّ بالسنِّ والجروح قصاص فمَن تصدَّق به فهو كفَّارةٌ له ومَن لم يحكُم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} المائدة: ٤٥. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٢) برقم (١٦٧٦) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات. باب ما يُباح به دم المسلم.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٢٠) برقم (٢٣١٤٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٥) برقم (٢١٦٥) أبواب الفتن. باب ما جاء في لزوم الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨٦) برقم (٩١٨١) كتاب عِشْرة النِّساء. ذِكْر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٩٩).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٦) برقم (٢١٦٧) أبواب الفتن. باب ما جاء في لزوم الجماعة. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح دون (ومَن شذَّ)" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٦٧).



وقد نصَّ ابن تيميَّة على أنَّ الواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يُصلِّي معهم الجمعة والجماعة، ويُوالي المؤمنين ولا يُعاديهم، وإنْ رأى بعضَهم ضالًّا أو غاويًا وأمكن أن يهديه ويرشده؛ فعل ذلك، وإلَّا فلا يُكلِّفُ الله نفسًا إلَّا وسعها(١).

والالتزام بالجماعة يقتضي أمرين:

الأول: الالتزام بالجماعة اعتقادًا، وهو أن تكون عقيدتك كعقيدة الجماعة الأولى جماعة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومَن نهج نهجهم، وسار على طريقهم. قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: الجماعة ما وافق الحقَّ ولو كنتَ وحدك(٢).

الثاني: الالتزام بالجماعة صفًّا، وهو أن تكون بقلبك وقالبك مع أهل الحقِّ أينما كانوا وحيثما كانوا. وأهل الحق هم الذين قال فيهم النبي ﷺ:" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" متفق عليه(٣).

وقد اختلف العلماء في مفهوم الجماعة والمقصود بها على أقوال(٤):

١- أنَّ الجماعة هم السواد الأعظم من أهل الإسلام، وممَّن قال بهذا عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه، فقد رُوي أنَّه لما قُتل عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه- سُئِل عن الفتنة فقال: عليك بالجماعة؛ فإنَّ الله لم يكن ليجمع أمَّة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتَّى يستريح بَرٌّ أو يُستراح من فاجر(٥).

٢- أنَّ الجماعة هي جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمَن خرج عمَّا عليه جماعة علماء الأمَّة؛ مات ميتة جاهلية، لأنَّ الله تعالى جعلهم حُجَّة على العالمين، وأمَّا العامَّة فعنها تأخذ دينها، وإليها تفزع في النوازل، وهي تبعٌ لها، وممَّن قال بهذا عبد الله بن المبارك، فقد قيل له: مَن الجماعة الذين ينبغي أن يُقتدَى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر، فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحُسين بن واقد، فقيل: هؤلاء ماتوا، فمِنَ الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري(٦).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٦).

(٢) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ٤٠٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٧) برقم (٣٦٤١) كتاب المناقب. باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٣) برقم (١٩٢٠) كتاب الإمارة. باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خالفهم».

(٤) يُنظَر هذه الأقوال: الاعتصام للشاطبي (٣/ ٢٠٩- ٢١٦).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٤٠) برقم (٦٦٦).

(٦) يُنظَر: الاعتصام للشاطبي (٣/ ٢١١). الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.



٣- أنَّ الجماعة هي جماعة الصحابة على الخصوص، فإنَّهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا، ولأنَّهم المتلقُّون لكلام النُّبوَّة، الذين فهموا مراد الله بالتلقِّي من نبيِّه مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال بخلاف غيره، فإنَّ فيه لأهل الاجتهاد مجالًا للنَّظر ردًّا أو قبولًا، فأهل البدع إذًا غير داخلين فيه، وممَّن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز.

٤- أنَّ الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمرٍ؛ فواجب على غيرهم مِن أهل الملل اتِّباعهم، وهم الذين ضَمِن الله لنبيِّه ﷺ أن لا يجمعهم على ضلالة.

٥- أنَّ الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أميرٍ، وقد اختار هذا القول الإمام الطبري؛ وحاصل هذا القول أنَّ الجماعةَ راجعةٌ إلى الاجتماع على الإمام الموافِق للكتاب والسُّنَّة، وذلك ظاهر في أنَّ الاجتماع على غير سُنَّةٍ خارجٌ عن معنى الجماعة كالخوارج ومَن جرى مجراهم.

والخلاصة والذي يظهر أنَّه لا تعارض بين هذه الأقوال؛ إذ الجماعة هي مَن كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، والتابعون ومَن تبعهم بإحسان، فمَن وافقهم فهو مِن الجماعة وإن كان فردًا، ومَن خالفهم فهو من أهل الشذوذ والفرقة وإن كثُر عددهم.



٢٧ ذي الحجة

شدَّة الحرِّ والبردِ من نارِ جهنَّم

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" اشتكت النارُ إلى ربِّها فقالت: ياربِّ؛ أكل بعضي بعضًا، فأذِنَ لها بنفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاء، ونَفَسٍ في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير" رواه البخاري ومسلم(١).

وفي رواية أخرى:" قالتِ النَّار: ربِّ؛ أَكَلَ بعضي بعضًا، فأْذَنْ لي أتنفس، فأذِنَ لها بنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاء، ونَفَسٍ في الصيف، فما وجدتم من بردٍ أو زمهريرٍ فمِن نَفَسِ جهنَّم، وما وجدتم من حرٍ أو حرور فمِن نَفَس جهنَّم" رواه مسلم(٢).

وفي رواية ثالثة:" اشتكت النَّار إلى ربِّها فقالت: يا ربِّ؛ أكل بعضي بعضًا، فجعل لها نَفَسَيْنِ: نَفَسٌ في الشتاء، ونَفَسٌ في الصيفٍ، فشدَّة ما تجدون مِن البرد مِن زمهريرها، وشدَّة ما تجدون مِن الحرِّ مِن سمومها" رواه ابن ماجه(٣).

ففي جهنَّم ألوانٌ مُتعدِّدةٌ مِن العذاب، ففيها البرد الشديد والحرُّ الشديد، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾(٥)، فالحميم هو الحارُّ الذي قد انتهى حرُّه، وأمَّا الغسَّاق فهو البارد الذي لا يُستطاع من برده، ولا يُواجَه مِن نتنه، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا؛ لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا" رواه أحمد والترمذي(٦).

وقد جعل الله تعالى ما في الدنيا مِن شدَّة الحرِّ والبرد مُذكِّرًا بحرِّ جهنَّم وبردها، ودليلًا عليها، ولهذا تُستحَبُّ الاستعاذة منها عند وجود ذلك. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٣) برقم (٥٣٧) كتاب مواقيت الصلاة. باب الإبراد بالظهر في شدَّة الحرِّ. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣١) برقم (٦١٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الإبراد بالظهر في شدَّة الحرِّ لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحرُّ في طريقه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٢) برقم (٦١٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الإبراد بالظهر في شدَّة الحرِّ لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحرُّ في طريقه.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٤٤) برقم (٤٣١٩) كتاب الزهد. باب ذكر الشفاعة.

(٤) ص: ٥٧-٥٨.

(٥) النبأ: ٢٤-٢٥.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٣١٠) برقم (١١٧٨٦). والترمذي في جامعه (٤/ ٧٠٦) بإسناد حديث رقم (٢٥٨٤) أبواب صفة جهنَّم. باب ما جاء في صفة شراب أهل النَّار. والحديث ضعَّفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٨٢).



رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ النَّارِ" رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه(١).

كما روى الدارميُّ عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:" إذا كان يومٌ حارٌّ، فإذا قال الرجل: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ما أشدَّ حرَّ هذا اليومِ، اللَّهُمَّ أجرْني مِن حرِّ جهنَّم؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ لجهنَّم: إنَّ عبدًا مِن عبيدي استجارني مِن حَرِّكِ، وأنا أُشهِدُكِ أنِّي قد أجرتُه، وإذا كان يومٌ شديدُ البردِ، فقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ما أشدَّ بردَ هذا اليومِ، اللهُمَّ أجرْني مِن زمهريرِ جهنَّمَ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ لجهنَّمَ: إنَّ عبدًا مِن عبيدِي استجارَني مِن زمهريرِكِ، وإنِّي أُشهدُكِ أنِّي قدْ أجرتُهُ، قالوا: وما زمهريرُ جهنَّمَ؟ قال: بيتٌ يُلقَى فيه الكافرُ فيَتميَّزُ مِنْ شدَّةِ بَرْدِها بعضُهُ مِنْ بعضٍ"(٢).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: والمراد بالزمهرير: شدَّة البرد، واستشكل وجوده في النار، ولا إشكال؛ لأنَّ المراد بالنار: محلُّها، وفيها طبقة زمهريرية(٣).

ثم اختلف العلماء أيضًا في نَفَسَيْ جهنَّم؛ هل هما على الحقيقة أم على المجاز؟ وأكثر العلماء على أنَّ ذلك على الحقيقة أيضًا.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: قال القرطبي: لا إحالة في حمل اللفظ على حقيقته، قال: وإذا أخبر الصادقُ بأمرٍ جائزٍ؛ لم يُحتجْ إلى تأويله، فحمْلُهُ على حقيقته أولى، وقال النووي نحو ذلك، ثم قال: حمْلُهُ على حقيقته هو الصواب.

ورجَّح البيضاوي حمْلَه على المجاز، فقال: شكواها مجازٌ عن غليانها، وأكْلُها بعضها بعضًا مجازٌ عن ازدحام أجزائها، وتنفُّسُها مجازٌ عن خروج ما يبرز منها(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٤٠٨) برقم (١٣١٧٣). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٩٩) بإسناد حديث رقم (٢٥٧٢) أبواب صفة الجنَّة. باب ما جاء في صفة أنهار الجنَّة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٧) برقم (٩٨٥٨) كتاب عمل اليوم والليلة. مَنِ استجار بالله من النَّار ثلاث مرَّاتٍ، وسأل الجنَّة ثلاث مرَّاتٍ. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٥٣) برقم (٤٣٤٠) كتاب الزهد. باب صفة الجنَّة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٧٦).

(٢) رواه الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٣٢٤). والحديث قال عنه الألباني: "مُنكَر" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (١٣/ ٩٥١). نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التوحيد، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقِّق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٩).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّ الجمادات لها إحساس؛ لقوله: (اشتكت النَّار إلى ربِّها فقالت: يا ربِّ؛ أكل بعضي بعضًا)، مِن شدَّة الحرِّ وشدَّة البرد، فأذِنَ الله لها أن تتنفَّس في الشتاء، وتتنفَّس في الصيف، تتنفَّس في الصيف ليخفَّ عليها الحرُّ، وفي الشتاء ليخفَّ عليها البرد، وعلى هذا فأشدُّ ما نجد مِن الحرِّ؛ يكون من فيح جهنَّم، وأشدُّ ما يكون من الزمهرير؛ من زمهرير جهنَّم(١).

فإن قيل: قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾(٢)، فنفى البرد عن أهل النَّار، فكيف نوفِّق بين الآية والحديث؟ والجواب: أنَّ البرد المنفي هو ما يكون لهم فيه راحة أو نعيم، والزمهرير الذي هو لونٌ مِن عذابهم هو شدَّة البرد الذي يُعذَّب أهلُه به من شدَّته، نعوذ بالله من النَّار وأهلِها؛ ولا راحة لهم فيه ممَّا يُعانون من الحرِّ والسَّموم.

قال القاضي عياض: قيل معنى الحديث أنَّها إذا تنفَّستْ في الصيف قَوِيَ لهبُ تنفُّسِها حرَّ الشمس، وإذا تنفَّستْ في الشتاء دفع حرُّها شدَّةَ البرد إلى الأرض(٣).

وقال ابن التين: فإن قيل: كيف يُجمَعُ بين البرد والحرِّ في النَّار؟ فالجواب: أنَّ جهنَّم فيها زوايا فيها نار، وزوايا فيها زمهرير، وليست محلًّا واحدًا يستحيل أن يجتمعا فيه(٤).

وقال مغلطاي: لقائلٍ أن يقول: الذي خَلَقَ الملك من ثلج ونار؛ قادرٌ على جمْع الضدين في محلٍّ واحدٍ، قال: وأيضًا فالنَّار من أمور الآخرة، والآخرة لا تُقاس على أمر الدنيا(٥).

وقال الحسن البصري: كلُّ بردٍ أهلَكَ شيئًا فهو مِن نَفَسِ جهنَّم، وكلُّ حَرٍّ أهلك شيئًا فهو مِن نَفَسِ جهنَّم(٦).

---

(١) من شرح الشيخ على صحيح البخاري. كتاب الصلاة ومواقيتها، يُنظَر: الشيخ محمد بن صالح العثيمين-صحيح البخاري- ١٠ a-7 (alathar.net).

(٢) النبأ: ٢٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٥٨٢).

(٤) يُنظَر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٣٠). تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى– مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

(٥) يُنظَر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٣٠).

(٦) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٢٠).



ورُوي عن زبيد اليامي أنَّه قام ليلة للتهجُّد، فعمد إلى مطهرةٍ له قد كان يتوضَّأ فيها، فغسل يده، ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء الذي فيها باردًا بردًا شديدًا قد كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة، فلم يُخْرِجْ يده من المطهرة حتى أصبح، فجاءته الجارية وهو على تلك الحال فقالت: ما شأنُك يا سيدي، لمْ تُصلِّ الليلة كما كنتَ تُصلِّي؟ قال: ويحكِ إنِّي أدخلتُ يدي في هذه المطهرة، فاشتدَّ عليَّ بردُ الماء، فذكرتُ به الزمهرير، فواللهِ ما شعرتُ بشدَّة برده حتَّى وقفْتِ عليَّ. انظري لا تُخبري بهذا أحدًا ما دمتُ حيًّا. فما علمَ بذلك أحدٌ حتَّى مات رحمه الله(١).

ورأى عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- قومًا في جنازة وقد هربوا من الشمس إلى الظلِّ، وتَوَقَّوا الغبار، فبكى ثم أنشد:

مَن كانَ حين تُصيبُ الشمسُ جبهتَه ... أوِ الغبارُ يخافُ الشينَ والشعثا
ويألفُ الظلَّ كي يبقى بشاشتُه ... فسوفَ يسكنُ يومًا راغمًا جدثا
في ظلِّ مقفرةٍ غبراءَ مُظلمةٍ ... يُطيلُ تحتَ الثَّرى في غمِّها اللبثا
تجهَّزي بجهازٍ تبلغين به ... يا نفسُ قبل الردى لم تُخلَقي عبثا(٢)

---

(١) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٣٣).

(٢) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٢١).



٢٨ ذي الحجة

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾

عن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال: أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يَقرأُ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[١]، قال:" يقولُ ابنُ آدَمَ: مالي، مالي، وهل لك- يا ابنَ آدَمَ- مِن مالِك إلَّا ما أكَلْتَ فأفنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأبلَيتَ، أو تصدَّقْتَ فأمضَيتَ؟!" رواه مسلم[٢].

وعن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" لو أنَّ لابن آدم واديًا من ذهب؛ لأحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلَّا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب"، قال ثابت عن أنس عن أُبَيّ: كُنَّا نرى هذا من القرآن، حتَّى نزلتْ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾. رواه البخاري[٣]. وفي رواية أخرى:" لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا"[٤].

وعن عليِّ بن أبي طالب- رَضِيَ اللهُ عنه- قال: كنَّا نشكُّ في عذاب القبر، حتَّى نزلت هذه الآية: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[٥] في عذاب القبر. رواه الترمذي[٦].

واستدَلَّ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ- رحمه اللهُ- بقَولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ على أنَّ الزَّائِرَ لا بُدَّ أن يرجِعَ إلى وطَنِه، وأنَّ القُبورَ ليست بدارِ إقامةٍ[٧].

وكذلك يُذكَرُ عن بعضِ الأعرابِ أنَّه سَمِعَ قارئًا يقرأُ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ فقال: واللهِ ما الزَّائِرُ بمقيمٍ، واللهِ لَنُبعَثَنَّ؛ لأنَّ الزَّائِرَ- كما هو معروفٌ- يَزورُ ويَرجِعُ[٨].

---

(١) التكاثر: ١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣) برقم (٦٤٣٩) كتاب الرقاق. باب ما يُتَّقَى من فتنة المال. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٥) برقم (١٠٤٨) كتاب الزكاة. باب لو أنَّ لابن آدم وادِيَينِ لابتغى ثالثًا.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٢) برقم (٦٤٣٦) كتاب الرقاق. باب ما يُتَّقَى من فتنة المال. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٥) برقم (١٠٤٨) كتاب الزكاة. باب لو أنَّ لابن آدم وادِيَينِ لابتغى ثالثًا.

(٥) التكاثر: ١-٣.

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٤٧) بإسناد حديث رقم (٣٣٥٥) أبواب تفسير القرآن. باب ومِن سورة ألهاكم التكاثر. والحديث ضعَّف إسناده الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٣٥٥).

(٧) يُنظَر: تفسير العثيمين: جزء عمَّ (ص ٣٠٣). تفسير جزء عمَّ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٨) يُنظَر: تفسير العثيمين: جزء عمَّ (ص ٣٠٣).



وعن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عنه- يقول: قال رسول الله ﷺ:" يتبعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحدٌ: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله" رواه البخاري ومسلم(١).

وقال الإمام ابن كثير في سبب نزول السورة: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا أبو أسامة، قال صالح بن حيان: حدَّثني عن ابن بريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: نزلتْ في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟- يشيرون إلى القبر- ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾(٢).

ويُروى أنَّ هذه الآية نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان. وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتَّى ماتوا على ضلال، وحِرْصُ اليهود على جمْع المال وكنزه؛ معروفٌ من قديم، ويقال: إنَّها نزلتْ في حَيَّيْنِ تَفاخرا وتكاثرا، فقالوا: نحن أكثرُ سيِّدًا، وأعزُّ عزيزًا، وأعظمُ نفرًا، وأكثرُ عائدًا، وكان أحدُهما أكثر، ثم تفاخرا وتكاثرا بالأموات، فقالوا: نحن أكثرُ أمواتًا، وكان أحدُهما أكثرَ موتى(٣).

قال السعدي: يقول تعالى مُوبِّخًا عباده عن اشتغالهم عمَّا خُلِقُوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته والإنابة إليه، وتقديم محبَّته على كل شيء: (أَلْهَاكُمُ) عن ذلك المذكور (التَّكَاثُرُ) ولم يذكر المتكاثَر به، ليشمل ذلك كل ما يَتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال والأولاد، والأنصار والجنود، والخدم والجاه، وغير ذلك ممَّا يُقصَدُ منه مكاثرة كلِّ واحدٍ للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. فاستمرَّتْ غفلتُكم ولهوتُكم وتشاغُلُكم (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما تعذَّر عليكم استئنافه. ودلَّ قوله: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) أنَّ البرزخ دارٌ مقصودٌ منها النفوذ إلى الدار الباقية، أنَّ الله سمَّاهم زائرين، ولم يُسمِّهم مُقيمين. فدلَّ ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دارٍ باقيةٍ غير فانيةٍ، ولهذا توعَّدهم بقوله: (كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب؛ لَمَا ألهاكم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٧) برقم (٦٥١٤) كتاب الرقاق. باب سكرات الموت. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٣).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٢٩٨).

التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. ولكن عدم العلم الحقيقي؛ صيَّركم إلى ما ترون، (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) أي: لَتَرِدُنَّ القيامة، فلترَوُنَّ الجحيم التي أعدَّها الله للكافرين. (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾[١]، (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) الذي تنعَّمتم به في دار الدنيا: هل قمتم بشكره، وأديتم حقَّ الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه؟! فيُنعِّمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: قال الله عزَّ وجلَّ: (ألهاكم التكاثر) الخطاب للناس، (وألهاكم) أي شغلكم عن ذِكْر الله وعن الصلاة وعن طاعة الله. (التكاثر) أي التكاثر في الأموال والأولاد كما قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾[٣]. ألهى الناسَ عن طاعة الله كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]. وصدق الله عزَّ وجلَّ، انظرْ إلى الذين ابتلوا بحُبِّ الدنيا وإيثارها على الآخرة؛ كيف ألْهتْهم عن ذكر الله؟ كيف شغلتْهم؟ شغلت القلب والفكر والبدن لطلب الحياة الدنيا إلى متى؟ اقرأ (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) يعني إلى أن مِتُّم وأنتم لاهون بها. وهل زيارة المقابر قريبة أو بعيدة؟ أجيبوا. قريبة. وهل هي معلومة أو غير معلومة؟ غير معلومة، ربما يكون الإنسان في القبر آخر النهار، وهو أوَّل النهار في القصر[٥].

أرى أهلَ القصورِ إذا أُميتوا ... بَنَوا فوقَ المقابرِ بالصخورِ
أَبَوا إلَّا مُباهاةً وفخرًا ... على الفقراءِ حتَّى في القبورِ
لعمرُكَ لو كشفتَ التُّربَ عنهم ... فما تدري الغَنِيَّ مِنَ الفقيرِ
ولا الجِلْدَ المباشِرَ ثوبَ صوفٍ ... مِنَ الجِلْدِ المباشِرِ للحريرِ
إذا أَكَلَ الثرى هذا وهذا ... فما فَضْلُ الغَنِيِّ على الفقيرِ؟[٦]

---

(١) الكهف: ٥٣.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٣).

(٣) الحديد: ٢٠.

(٤) التغابن: ١٥.

(٥) يُنظَر: تفسير قوله تعالى: (ألهاكم التكاثر حتَّى زرتم...– ابن عثيمين(al-fatawa.com)

(٦) يُنظَر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٣٠٤). التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.



٢٩ ذي الحجة

حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا

قال عمرُ بنُ الخطَّابِ- رضِي اللهُ عنه-: حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن تُوزنوا، فإنَّه أخفُّ عليكم في الحسابِ غدًا أن تُحاسِبوا أنفسَكم اليومَ، وتزيَّنوا للعَرضِ الأكبرِ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(١)، وإنَّما يَخِفُّ الحساب يوم القيامة على مَن حاسَبَ نفسه في الدنيا(٢).

وقال أيضًا: حاسِبْ نفسك في الرَّخاء قبل حساب الشِّدَّة، فإنَّ مَن حاسَب نفسه في الرَّخاء عاد أمرُه إلى الرضا والغبطة، ومَن شغلتْه حياته، وألهتْه أهواؤه؛ عاد أمرُهُ إلى الندامة والحسرة(٣).

ودوام محاسبة النفس معناه: أن يتصفَّح الإنسان عمله، وينظر في أقواله وأفعاله وجميع ما يصدر منه أوَّلًا بأول. فإن وَجَد خيرًا محمودًا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن وَجَدَهُ شرًّا مذمومًا استدركه إن أمكن، وتاب منه واستغفر، وانتهى عن مثله في المستقبَل.

والأصل في هذه المحاسبة في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾(٤).

وقوله: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٦).

---

(١) الحاقة: ١٨.

(٢) يُنظَر: مسند الفاروق (٢/ ٦١٢) وقال ابن كثير عقبه:" أثر مشهور، وفيه انقطاع، وثابت بن الحجَّاج هذا جَزَري، تابعي صغير، لم يُدرك عمرَ، ولم يَروِ عنه سوى جعفر بن بُرقان ". مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقِّق: إمام بن علي بن إمام، الناشر: دار الفلاح، الفيوم– مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٣) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٥٩). محاسبة النفس لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم / عبد الله الشرقاوي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية/ دار الكتب العلمية/ مكتبة القرآن- بيروت.

(٤) البقرة: ٢٣٥.

(٥) البقرة: ٢٨١.

(٦) آل عمران: ٣٠.



وقولــه: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[(١)].

وقولــه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[(٤)].

وقولــه: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[(٥)].

ومن الأحاديث قوله ﷺ:" الكيّسُ مَن دَانَ نفسه وعَمِلَ لما بعدَ الموت، والعاجز مَن أتبعَ نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأماني" رواه الترمذي[(٦)].

قال الفضيل بن عياض لرجلٍ: كم عمرك؟ فقال الرجل: ستُّون سنة، قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستّين سنة تسير إلى الله تُوشِك أن تَصِل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفضيل: يا أخي؛ هل عرفتَ معناها؟ قال الرجل: نعم، عرفتُ أنِّي لله عبدٌ، وأنِّي إليه راجعٌ، فقال الفضيل: يا أخي؛ مَن عرف أنَّه لله عبدٌ وأنَّه إليه راجعٌ؛ عرف أنَّه موقوفٌ بين يديه، ومَن عرف أنَّه موقوفٌ عرف أنَّه مسؤولٌ، ومَن عرف أنَّه مسؤولٌ؛ فليُعِدَّ للسؤال جوابًا.

هذا وقد أقسم الله عزَّ وجلَّ بالنفس اللوَّامة، فقال تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[(٧)]، أي التي تُكثر لوم صاحبها على التفريط في فِعْل الخير، وتعاتبه على الوقوع في الشَّرِّ[(٨)].

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) المجادلة: ٦.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) الزلزلة: ٦-٨.

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٣٨) بإسناد حديث رقم (٢٤٥٩) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع. باب بدون ترجمة. والحديث ضعَّفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٥٩).

(٧) القيامة: ٢.

(٨) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٣).



قال الحسن البصري: لا تَلقَى المؤمنَ إلَّا يُعاتِب نفسه: لماذا فعلتِ كذا؟ ماذا تريدين مِن كذا؟ والفاجر يمضي قدمًا لا يُحاسِب نفسه(١).

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثم زمَّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائدًا(٢).

ويقول ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقيًّا حتَّى يُحاسِب نفسه كما يُحاسِب الشريكُ الشحيحُ شريكَه: من أين مطعمُه وملبسُه؟(٣).

ومن صور المحاسبة أنَّ عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- دخل حائطًا "حديقة نخيل" فأخذ يُحاسِب نفسه ويقول: عمر بن الخطَّاب أمير المؤمنين!! بخ بخ!! والله لتتقينَّ الله يا ابن الخطَّاب أو ليُعذبنَّك(٤).

وكان يزيد الرقاشي يُحاسِب نفسه كلَّ يومٍ ثم يبكي ويقول: ويحك يا يزيد؛ مَن يصوم عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد؛ مَن يُصلِّي عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد؛ مَن يتصدَّق عنك بعد الموت؟(٥).

ويقول عامر بن قيس: لقيتُ ناسًا من أصحاب محمد ﷺ فأخبروني أنَّ أخلصَ الناسِ يومَ القيامة أشدُّهم محاسبةً في الدنيا لنفسه، وأنَّ أشدَّ الناسِ فرحًا يوم القيامة أشدُّهم حُزنًا في الدنيا، وأنَّ أكثرَ الناس ضحكًا يوم القيامة أكثرُهم بكاءً في الدنيا(٦).

وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوبٌ في حكمة آل داود: حقٌّ على العاقل ألَّا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يُناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسِب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين

---

(١) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٢٤).

(٢) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٢٦).

(٣) يُنظَر: سنن الترمذي (٤/ ٦٣٨).

(٤) رواه مالك في موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني (ص ٣٢٧). موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة مُنقَّحَة.

(٥) يُنظَر: المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٠٧). المجالسة وجواهر العلم، المؤلف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقِّق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت- لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

(٦) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦/ ٥).



يُخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يُخلِّي فيها بين نفسه وبين لذَّاتها فيما يحلُّ، فإنَّ في هذه الساعة عونًا على تلك الساعات وإجمامًا للقلوب(١).

وكان توبة بن الصمة من المحاسِبين لأنفسِهم، فحسب يومًا فإذا هو ابن ستِّين سنة، فحسب أيَّامها، فإذا هي واحدٌ وعشرون ألفَ يومٍ وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلي! ألقَى ربِّي بواحدٍ وعشرين ألفَ ذنبٍ؟ كيف وفي كل يوم آلافٌ من الذُّنوب؟ ثمَّ خرَّ مغشيًّا عليه، فنظروا فإذا هو ميِّتٌ، فسمعوا قائلًا يقول: يا لَكِ ركضة إلى الفردوس الأعلى(٢).

وذكر الإمام ابن القيم- رحمه الله- أنَّ محاسبة النفس تكون:

أوَّلًا: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصًا تداركه.

ثانيًا: ثم المناهي، فإذا عرف أنَّه ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثًا: محاسبة النفس على الغفلة، ويتدارك ذلك بالذِّكْر والإقبال على الله.

رابعًا: محاسبة النفس على حركات الجوارح: كلام اللِّسان، ومشْي الرِّجْلين، وبطْش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردتُ بهذا؟ ولمن فعلتُه؟ وعلى أيِّ وجهٍ فعلتُه؟(٣).

ومحاسبة النفس نوعان:

النوع الأول: محاسبة النفس قبل العمل، فهو أن يقف العبد عند أوَّل همِّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتَّى يتبيَّن له رجحانه على تركه. قال الحسن: رحم الله عبدًا وقف عند همِّه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخَّر.

والنوع الثاني : محاسبة النفس بعد العمل. وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبة النفس على طاعة قصَّرتْ فيها في حقِّ الله تعالى.

الثاني: أن يُحاسِب نفسه على كلِّ عملٍ كان ترْكُه خيرًا مِن فِعْله.

الثالث: أن يُحاسِب نفسه على أمرٍ مُباحٍ أو معتادٍ: لمَ فَعَلَهُ؟ وهل أراد به اللهَ والدارَ الآخرةَ؟ فيكون رابحًا، أم أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

---

(١) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٣٠).

(٢) يُنظَر: صفة الصفوة (٢/ ٣٦٢). صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقِّق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م.

(٣) يُنظَر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨٣). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقِّق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

والخلاصة: مَن حاسَب نفسه قبل أن يُحاسَب؛ خفَّ في القيامة حسابُه، وحضر عند السؤال جوابُه، وحَسُنَ منقلبُه ومآبُه، ومَن ترك لنفسه هواها، وسعى لها في تحقيق مُناها، وترَكَها من غير مؤاخذة ولا محاسبة؛ دامتْ حسراتُه، وطالتْ في عرصات القيامة وقفاتُه، وقادتْه إلى الخزي والمقتِ سيِّئاتُه[١].

(١) يُنظَر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨١).

٣٠ ذي الحجة

نهاية العام (نسأل الله حُسْنَ الختام)

ها هو عامٌ هجريٌّ كاملٌ قد مضى، طُويت صفحاتُه، وانقضت ساعاتُه، وتصرَّمت لياليه وأيامُه، بأفراحه وأحزانه، ومواعظه وعِبره، مضى ليكون شاهدًا علينا بما أودعناه فيه من خيرٍ أو شرٍّ، مضى ولن يعود إلى يوم القيامة، غير أنَّ ما عملناه فيه قد دُوِّن، وَحَفِظَهُ الكرام الكاتبون، وسيُعرَضُ علينا يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[١].

إنَّ هذا العام المنصرم هو مِن أعمارِنا بلا شكٍّ، كما قال الحسن البصري- رحمه الله-: يا ابن آدم؛ إنَّما أنتَ أيَّامٌ، إذا ذهب يومٌ ذهب بعضُكَ[٢]. وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: إنَّما أنتَ أيَّامٌ، كلَّما مضى منك يومٌ مضى بعضُك[٣].

هذا إذا مضى يومٌ، فكيف وقد نقص من العمر عامٌ كاملٌ واقتربنا من الأجل؛﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٤]، المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، والفقير والتاجر، والمأمور والآمِر، والحاكم والمحكوم، كلُّهم على موعدٍ مع الموت كما قال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٥].

فها أنتَ يا عبد الله تقترب من أجَلك، لتنتقل من سعة الدور والقصور، إلى ضيق الأجداث والقبور، وهناك بين أطباق الثرى لا جليس ولا أنيس إلَّا ما قدَّمتْ مِن صالح العمل، فمَن كان مِن أهل الصلاح؛ كان قبرُه روضةً مِن رياض الجنان، وفُسِحَ له في قبره مدَّ بصره، وفُتِحَ له بابٌ إلى الجنَّة، فيأتيه من رَوحها وريحانها.

ومَن كان فاسدًا فاسقًا مُعرِضًا عاصيًا لله؛ كان قبرُه حفرةً من حفر النار يُعذَّبُ فيه، ويُفتَح له بابٌ إلى النار، فيأتيه مِن حَرِّها وسمومها، ويُضيَّقُ عليه قبرُه حتَّى تختلف فيه أضلاعُه، ثم تقوم الساعة

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٢٥). الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٠٤).

(٤) الأعراف: ٣٤.

(٥) العنكبوت: ٥٧.



فيُبعَث الناسُ ليروا طريقهم؛ إمَّا إلى جنَّةٍ عرضُها السماوات والأرض، وإمَّا إلى نارٍ وقودها الناس والحجارة، فماذا قدَّمتَ يا عبد الله لهذا اليوم العظيم، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[١].

فيا أبناء العشرين؛ كم مات من أقرانكم وتخلَّفتم؟!

ويا أبناء الثلاثين؛ أُصِبتم بالشباب على قُرْبٍ من العهد، فما تأسَّفتم؟

ويا أبناء الأربعين؛ ذهب الصبا، وأنتم على اللهو قد عكفتم!!

ويا أبناء الخمسين؛ تنصَّفتُم المائة، وما أنصفتم!!

ويا أبناء الستِّين؛ أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم، أتلهون وتلعبون؟ تالله لقد أسرفتم!!

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال: أعذرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّرَ أجله حتَّى بلَّغه ستِّين سنة[٢].

سنُودِّع عامًا مضى بكلِّ ما فيه، رغم سرعة أيَّامه ولياليه، وكأنَّه بالأمس قد بدأ. كُنَّا نستعِدُّ لقدومه، وها نحن نستعِدُّ لرحيله، وكأنَّنا في دوامةٍ مع عجلة الأيَّام التي ما تلبث أن تبدأ إلَّا أنَّها قد انتهت. فاللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الختام.

انتهى عامٌ ويأتي عامٌ آخر، يستقبله الناسُ داعين ربَّهم أن يكون مليئًا بالفرح والسرور، بعيدًا عن الشقاء والحزن، ولكنَّ دوام الحال من المحال، فيجب أن يعرف الإنسان أنَّ الأيَّام كلَّها مُتقلِّبة، لا تثبتْ على حال، فليستْ كلُّها سعيدة، وليستْ كلُّها تعيسة، ولكن لا بدَّ أن يمرَّ ببعض الأزمات التي هي من خصائص الحياة الدنيا.

فاللَّهُمَّ في أوَّل يومٍ من العام الجديد؛ ارزقْنا حُبَّك وفرحة تدمع لها العين. اللَّهُمَّ اجعلْه عامًا مليئًا بالخير والفرحة، واجعلْه نهاية لكلِّ ألمٍ وحُزنٍ وهمٍّ وضيقٍ، اللَّهُمَّ بشِّرْنا بكلِّ ما نتمنَّاه، واجعلْ هذا العام فاتحة خيرٍ.

اللَّهُمَّ بدِّلْنا فرحةً تُنسينا أوجاعَنا، وتجمعُ شمْلَنا، وتُصلِحُ أحوالَنا، وتَحقِنُ دِماءَنا، ورُدَّنا إليكَ ردًّا جميلًا. اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوَّله وآخره، وظاهره وباطنه، والدَّرجات العُلا من الجنَّة.

---

(١) المؤمنون: ٩٩- ١٠٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٩) برقم (٦٤١٩) كتاب الرقاق. باب مَن بلغ ستِّين سنة؛ فقد أعذر اللهُ إليه في العمر.



اللَّهُمَّ بعلْمِك الغيبَ، وقُدْرتِك على الخلْقِ؛ أحْيِنا ما علمتَ الحياةَ خيرًا لنا، وتوفَّنا إذا علِمْتَ الوفاةَ خيرًا لنا، اللَّهُمَّ نسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، ونسألُك كلمةَ الإخلاصِ في الرضا والغضبِ، ونسألُك القصدَ في الفقرِ والغِنى، ونسألُك نعيمًا لا ينفدُ، ونسألُك قُرَّةَ عينٍ لا تنقطعُ، ونسألُك الرضا بالقضاءِ، ونسألُك بَرْدَ العيْشِ بعدَ الموتِ، ونسألُك لذَّةَ النظرِ إلى وجهِك، والشوقَ إلى لقائِك، في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلْنا هُداةً مُهتدينَ.

اللَّهُمَّ اغفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنا، وصَغيرِنا وكَبيرِنا، وذَكَرِنا وأُنْثانا، وشاهِدِنا وغائِبِنا، اللَّهُمَّ مَن أحْيَيْتَه منَّا فأَحْيِه على الإسْلامِ، ومَن تَوَفَّيْتَه منَّا فتَوَفَّه على الإيمانِ.

اللَّهُمَّ أَصلِحْ لنا دِيننا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأَصلِحْ لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأَصلِحْ لنا آخرَتنا التي فيها مَعادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

اللَّهُمَّ أنتَ خلقْتَ نفوسَنا، وأنتَ توفَّاها، لك مماتُها ومحياها، وإنْ أحيَيْتَها فاحفَظْها، وإنْ أمَتَّها فاغفِرْ لها، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك العافيةَ.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تجعل خيرَ أعمالِنا خواتيمَها، وخيرَ أعمارِنا أواخرَها، وخيرَ أيامِنا يوم نلقاك. اللَّهُمَّ ارزقْنا حُسْنَ الخاتمة، وأعِذْنا من سُوئها، وثبِّتْنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[١].

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[٢].

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣].

أخي الحبيب: لا تُضيِّعْ أيامَكَ، فإنَّها رأسُ مالِكَ، فإنَّكَ ما دُمتَ قادرًا على رأس مالِكَ؛ قدرتَ على الربح، وإنَّ بضاعة الآخرة كاسدةٌ في يومِكَ هذا، فاجتهدْ حتَّى تجمع بضاعة الآخرة في وقت الكساد، فإنَّه يجئ يومٌ تصيرُ هذه البضاعة فيه عزيزة، فاستكثِرْ منها في يوم الكساد ليومِ العِزِّ، فإنَّك لا تقدر على طلَبِها في ذلك اليوم.

إنَّا لَنفــــرحُ بالأيَّامِ نقطـــعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعملْ لِنفسِكَ قَبْلَ الموتِ مُجْتَهِدًا ... فإنَّما الرِّبحُ والخُسرانُ في العَمَلِ[٤]

---

(١) آل عمران: ١٩٣.

(٢) الأعراف: ١٢٦.

(٣) الشعراء: ٨٣.

(٤) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٠٤).




تم بحمد الله